SEPAD

Sectarianism, Proxies & De-sectarianisation

العلاقات السعودية والإيرانية في إطار جهود التهدئة وخفض حدة التصعيد في الخليج

المحتويات

- تنويه وتقدير
- عن المؤلفين

المقدمة

1. سايمون مابون وإدوارد ويستندج: "السعودية وإيران : صراعات مستمرة واحتمالات مطروحة"
2. سينزيا بيانكو: "التنافس السعودي الإيراني: تحليل الحسابات الاستراتيجية السعودية"
3. شاهرام أكبرزاده: "العلاقات بالوكالة بين إيران وحزب الله"
4. لورانس روبين: "المملكة العربية السعودية وإيران والولايات المتحدة"
5. كليف جونز: "وهم التقارب: إيران وملوك الخليج: رؤية الأحداث من المنظور الإسرائيلي"
6. بانفشاه كينوش: "آفاق المحادثات بين إيران والسعودية"
7. روبرت مايسون: "نحو إرساء السلام في العلاقات السعودية الإيرانية"
8. سكرو شيلدر: "منظمة الأوبك: هل يمكن لها أن تلعب دوراً في نزع فتيل التوتر في المنطقة؟"
9. إبراهيم فريحات: "المصالحة: السعودية وإيران"
10. كريستين كواتس أولرتشسن: "الدبلوماسية وخفض وتيرة التصعيد في منطقة الخليج"
11. إياد الرفاعي وسميرة ناصرزاده: "السعودية وإيران: كيف ستتمكن بلدينا من صُنع السلام ونشر الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط"

الملاحظات الختامية

تنويه وتقدير

تمول مؤسسة كارنيجي، التي تتخذ من نيويورك مقراً لها، مشروع "سيباد" بسخاء، لذا، يسرنا تقديم الشُكر والتقدير لكلٍ من هيلاري ويسنر ونهال عمرو لتقديمهما الدعم المتواصل بكل السبل الممكنة.

يسرنا أيضا تقديم أسمى معاني الامتنان والتقدير لكل شخص ساهم في كتابة هذا التقرير خلال المراحل المتقدمة من وباء كوفيد 19 ونحن ممتنون لإتاحة الفرصة للمؤلفين لتقديم الإسهامات حول هذا الموضوع الحيوي في خضم الضغوط الجمة التي يواجهوها فيما يتعلق بالوقت، شكرا.

نود أيضا أن نشكر إلياس الغزال لمساهمته في تقديم الدعم التقني والتحريري.

نبذة عن المؤلفين

شهرام اكبرزاده هو أستاذ باحث في سياسات الشرق الأوسط ووسط آسيا بجامعة ديكن الاسترالية وهو أيضا محرر لكتاب "دليل رويتليج عن العلاقات الدولية في الشرق الأوسط الذي" أصدرته دار نشر "روتليدج" عام 2019.

سينزيا بياكو هي زميل أستاذ زائر في المجلس الأوروبي حول العلاقات الخارجية حيث تعكف على دراسة ملف التطورات التي تطرأ على شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية.

سكرو سيلدر هو طالب حاصل على درجة الدكتوراه بجامعة لانكستر البريطانية ويعكف حاليا على دراسة دور النفط في الصراع الدائر بين السعودية وإيران.

إبراهيم فريحات هو أستاذ مشارك مختص في حل النزاعات الدولية بمعهد الدوحة لدراسات الخريجين وهو مؤلف أيضا لكتاب " إيران والسعودية:: تهدئة الصراع الفوضوي (جامعة إدنبره 2020)

كليف جونز هو أستاذ بجامعة درهام فيوار" سياسات الأمن الإقليمي وهو أيضا مؤلف أيضا لكتاب "أعداء الجوار: إسرائيل وملوك الخليج" (مطبعة هرست وجامعة أكسفورد لعام 2019 بالتعاون مع يول جوزانسكي، زميل باحث أول بمعهد الدراسات السياسية بجامعة تل أبيب.

بانفشاه كينوش تعمل كمستشارة وباحثة مستقلة ومؤلفة أيضا لكتاب السعودية وإيران: أصدقاء أم أعداء (طباعة دار نشر بلغراف ماكميلن، 2016)

سايمون مابون هو أستاذ في العلاقات الخارجية بجامعة لانكستر ومدير مشروع "سيباد" وهو مؤلف أيضا ل "بيوت بنيت على الرمل" : العنف، الطائفية والثورات في الشرق الأوسط" (طباعة جامعة مانشستر 2020)

روبرت ميسون : حاصل على شهادة الدكتوراه في سياسات الشرق الأوسط من جامعة إكستر. وشغل من قبل منصب مدير مركز دراسات الشرق الأوسط بالجامعة الأمريكية في القاهرة (2016 .2019)، كما أنه

مؤلف لكتاب مترقب صدوره تحت عنوان "توقعات جديدة في سياسات الشرق الأوسط: الاقتصاد والمجتمع والعلاقات الدولية" (طباعة الجامعة الأمريكية)

سميرة ناصرزاده هي طالبة حاصلة على درجة الدكتوراه بجامعة لانكستر وتعكف على دراسة الطائفية في الشرق الأوسط

إياد الرفاعي هو طالب دكتوراه بجامعة لانكستر البريطانية ويعكف على دراسة السياسات الإقليمية وهو أيضا زميل بدرجة الدكتوراه بمشروع "سيباد"

لورنس روبن هو أستاذ مشارك بمدرسة سام نن للشئون الدولية بمعهد جورجيا التكنولوجي وهو أيضا مؤلف أيضا لكتاب " الإسلام في مرحلة حرجة: التهديدات الأيديولوجية في السياسات العربية" (طباعة جامعة ستانفورد 2018)

كريستين كواتس اولرتشسن هو زميل بمعهد بيكر للسياسة العامة بجامعة رايس في سياسات الشرق الأوسط وألف أيضا كتاب "قطر وأزمة الخليج: دراسة الصمود وطباعة هرست وجامعة أوكسفورد،2020)

إدوارد ويستندج هو محاضر أول في الدراسات السياسية الدولية في الجامعة المفتوحة ويعمل أيضا نائب مدير "سيباد" وهو مؤلف أيضا لكتاب" الدبلوماسية والإصلاح في إيران (آي بي توريس، 2016).

المقدمة

يجمع هذا التقرير كوكبة من أبرز الخبراء المعروفين دولياً لتسليط الضوء على سبل خفض حدة التوتر بين السعودية وإيران ، وفي سبيل تحقيق ذلك يكشف الخبراء النقاب عن مدى تعقد وتشعب حدة العداء بين البلدين الذي أثبت مدى الأضرار الجسيمة التي يلحقها بالجهود الرامية إلى تحسين العلاقات الثنائية. في الوقت الذي تتقلب فيه حدة العداء بين البلدين بشكل متزايد خلال السنوات الأخيرة، علينا ألا ننظر إليه على أنه ثابت بل يخضع لظروف ويتشكل وفقا لعوامل منها السياق والزمان والمكان كما حدث خلال حقبة التسعينيات، حيث لم تشهد العلاقات بين المملكة والجمهورية الإسلامية أي تعقيدات. لكي نفهم بشكل أفضل سبل تقليل حدة التوتر بين البلدين، سعى المشاركون في هذا التقرير إلى اكتشاف الأسباب وراء هذا العداء.

في الوقت الذي نشهد خلاله مناقشات قوية لتأسيس منظمات لحفظ الأمن الإقليمي والتي يكمن دورها في تحسين العلاقات على خُطى المنظمات التي اقترحتها مؤخرا "مجموعة الأزمات الدولية" التي تهدف إلى منع وتسوية الصراعات. يسلط التقرير الضوء على القضايا التي تؤثر على هذا الصراع حيث لن تشهد العلاقات بين البلدين أي تحسن إلا من خلال مواجهتها وإيجاد حلول لها.

تكرر "سيباد" الدعوات التي أطلقتها "مجموعة الأزمات الدولية" لتأسيس منظمة لحفظ الأمن الإقليمي تضم السعودية وإيران، إلا أنه قبل تحقيق ذلك علينا معالجة عدة قضايا أخرى. لذا يهدف هذا التقرير إلى المساهمة في إثراء المناقشات السياسية والمناظرات الأكاديمية.

السعودية، إيران: صراعات مستمرة واحتمالات مطروحة

سايمون مابون وإدوارد ويستندج

شغل الصراع الدائر بين السعودية وإيران دورا محوريا في تشكيل منطقة الشرق الأوسط في الوقت الراهن، فعقب اندلاع الثورة في إيران وانتهاء حكم أسرة "بهلوي" الحاكمة ومع تأسيس الجمهورية الإسلامية في البلاد، تغيرت منظومة الأمن الإقليمي مما خلف تداعيات بعيدة المدى في الشرق الأوسط والدول الإسلامية.

أضافت الثورة الإيرانية بعدا دينيا للصراع بين البلدين الذي يعزو أيضا التناحر على القوة الإقليمية وعززه اختلاف القوميات، وعلى الرغم من ذلك، فإن الصراع بين البلدين غير ثابت ولن يظل على وضعه الحالي لذا سنستعرض خلال هذه النقاط الآتية العلاقات التاريخية بين البلدين قبل التطرق إلى مجالات تحسين العلاقات بينهما.

قصة مملكتين

في الوقت الذي تتركز فيه المناقشات الدائرة حول العلاقات السعودية الإيرانية على مظاهر التنافس بين الجانبين، ثَمَّةَ تاريخ طويل أدى إلى نشوب هذا العداء. فقد أصبحت الثورة الإيرانية التي اندلعت في عام 1979 طرفا في تغيير اللعبة في المنطقة والعالم الإسلامي ولعبت دورا محوريا في تشكيل العلاقة بين البلدين كما نرى في الوقت الحالي. لكن ثَمَّةَ أسباب أخرى منها الحرب الباردة والتطلعات الإقليمية لكلا الجانبين والدور الذي تلعبه كل بلد كمنتج كبير للنفط قبيل الثورة,

كان الغرب يضع كامل ثقته في الشاه محمد رضا بهلوي لتأمين مصالحه في المنطقة خلال الحرب الباردة في الوقت الذي كانت فيه الحكومات الغربية تضع ثقتها في ديكتاتور أو قائد طموح للحفاظ على مصالحها. لذا، قام الغرب بتزويد نظام الشاه بالأسلحة وغض الطرف عن القمع الذي مارسه ضد شعبه بالتزامن مع جهوده لتطوير البلاد وإنشاء المشروعات.

ولطالما نظر العالم إلى البلدين على أنهما طرفان أساسيان لتحقيق أمن الخليج عقب انسحاب المملكة

المتحدة من المنطقة[1] ومع لعب إيران دورا هاما في صد تهديدات الاتحاد السوفيتي في المنطقة. لكن العلاقات تباعدت بشكل كبير مع مساعي كلا الطرفين للحفاظ على وضعهما الإقليمي والتصدي لموجة القومية العربية التي اعتبراها تهديدا كبيرا لهما.

ففي الوقت الذي بدأت فيه السعودية تعزز مكانتها الدولية كمنتج أساسي للنفط، أدى ذلك إلى تقويض الدور الإقليمي لإيران. كما ظهر خلال دورها في أزمة مقاطعة تصدير النفط العربي عقب حرب "يوم كيبور" المسماة أيضا بحرب أكتوبر في مصر والمكاسب التي اغتنمتها من تضاعف أموال خزائنها . إلا أنه قبيل أحداث 1979، اتجهت كلا البلدين إلى زيادة الإنفاق العسكري لبسط هيمنتها وتعزيز نفوذها الإقليمي في المنطقة.

اندلاع الثورة

على نحو غير متوقع، خلفت الأحداث التي اندلعت خلال 1979 تداعيات هائلة على العلاقات الإقليمية بين البلدين ، كما أضاف تأسيس الجمهورية الإسلامية من قبل المرشد الأعلى لإيران روح الله الخميني بُعدا دينياً للصراعات الجيوسياسية في منطقة الخليج التي تأججت بشكل ملحوظ.[2]

ففي السعوية، أظهر حادث الاستيلاء على الحرم المكي مدى خطورة التنافس بين البلدين على القيادة الإسلامية، كما تفاقم هذا الصراع أيضا بسبب الأنشطة الثورية في منطقة الخليج.[3] وأعقب ذلك سيلا من التصريحات سعى خلالها كلا الطرفين إلى استعراض المقومات الإسلامية المتفردة لكليهما وتشويه سمعة الطرف الآخر.[4]

ففي مستهل الحرب بين إيران والعراق ، بدت حالة من الخوف سيطرت على عدد من دول الخليج إزاء الأحداث المندلعة في إيران، ورغم حالة القلق التي سيطرت على السعودية خلال هذا الوقت إزاء صدام

[1] For further insight into US policies in the region during the 1970s, including Nixon's 'twin pillars' policy, see Brannon, S. (1994). Pillars, Petroleum and Power: The United States in the Gulf. Journal of Arabian Studies, 2(1), 4-10.
[2] Mabon, S. (2013). Saudi Arabia and Iran: Soft Power Rivalry in the Middle East. London: IB Tauris
[3] See: Nevo, Joseph. (1998). Religion and National Identity in Saudi Arabia. Middle Eastern Studies, 34(3), 34–53.
[4] Mabon, Saudi Arabia and Iran, chapter 6.

حسين إلا أن الدعم السعودي للعراق كان أمرا مثيرا للدهشة.[5]

تركزت السياسة الخارجية للجمهورية الإسلامية على تقديم الدعم للدول التي تعاني من الاضطهاد مستلهمين ذلك من معركة كربلاء وكما هو منصوص عليه في المادة 3.16 من الدستور الإيراني ومدعوما من جماعات في الشرق الأوسط وبالأخص حزب الله اللبناني والجبهة الإسلامية لتحرير البحرين إذ سعت هذه الجماعات إلى تغيير الوضع الراهن آنذاك. لكن الجبهة الإسلامية لم تتمكن من الإطاحة بالأسرة الحاكمة "آل خليفة" في البحرين وفشلت كافة مساعيها لتحقيق ذلك. جاء ذلك في الوقت الذي ارتكزت فيه السياسة الإيرانية على المعاملة التي تتلقاها الجماعات الشيعية حول المنطقة.

زيادة التقارب

في الوقت الذي هبت فيه رياح التغيير على السياسات حول العالم مع انتهاء الحرب الباردة ، انتقلت إيران إلى مرحلة جديدة من التطور السياسي عقب الثورة ومع انتهاء الحرب العراقية الإيرانية ووفاة الخميني في عام 1989 شكلت هذه العوامل حاجة ملحة لدى إيران للتوجه نحو إعادة البناء عقب الثورة وتبني توجه أكثر واقعية في شكل محور خامنئي–رفسنجاني)علي أكبر هاشمي رفسنجاني وعلي خامنئي (مما أثر بشكل كبير على العلاقات مع دول المنطقة، فضلا عن صعود ولي العهد عبدالله بن عبد العزيز في السعودية ، الأمر الذي شكل اتجاها جديدا في النهج الذي تتبعه المملكة مع إيران.

إلا أن الشئون الخارجية لعبت دورا محوريا في تحسين العلاقات بين البلدين، ففي 20 يونيو عام 1990 تعرضت مدينة مانجيل الإيرانية لزلزال مدمر خلف نحو 60 قتيلا إلا أن هذا الحادث دفع نحو التقارب بين البلدين وخلق المساحة والفرصة للحوار والتعاون. ونتيجة لذلك، شهدت حقبة التسعينيات تقاربا كبيرا بين السعودية وإيران بلغ ذروته خلال فترة حكم الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي الذي اتبع النهج الإصلاحي.[6]

شهدت هذه الفترة زيارات متبادلة لعواصم كلا البلدين والمشاركة الإيرانية في الشئون الدولية من خلال

[5] Chubin, S. and Tripp, C. (1996). Iran – Saudi Arabia Relations and Regional Order. London: Oxford University Press for IISS.
[6] Wastnidge, E. (2016). Diplomacy and Reform in Iran: Foreign Policy under Khatami. London: IB Tauris

منظمة التعاون الإسلامي ومنظمة الدول المصدرة للنفط " أوبك"[7] ، فضلا عن تدعيم أواصر التعاون بين البلدين في مجالي الأمن والتجارة.

الغزو الأمريكي للعراق

ورغم أن السنوات الماضية ألمحت إلى تقارب العلاقات الدبلوماسية بين البلدين إلا أن نشوب الحرب على الإرهاب أعاد تشكيل السياسات العالمية. ففي الوقت الذي قدمت فيه إيران الدعم للولايات المتحدة فيما يتعلق بما يسمي "عملية الحرية الدائمة" التي شنتها، تبنت واشنطن عبارة أو مصطلح "محور الشر" في المنطقة خلال الخطاب السنوي الذي ألقاه الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش أمام الكونجرس الأمريكي في مطلع عام 2002، مما أثر سلباً على التقارب بين البلدين على نحو ملحوظ.

تسبب الغزو الأمريكي للعراق واتجاه الأنظار نحو إيران في إفساح المجال أمام مرحلة جديدة من التنافس بين إيران والولايات المتحدة تدعمها السعودية.

ومع عودة عدد كبير من السياسيين العراقيين الذين تعرضوا للنفي في إيران، سرعان ما اتجهت الجمهورية الإسلامية إلى بسط نفوذها على العراق خلال 2003[8] مما أثار مخاوف السعودية التي دعت الولايات المتحدة إلى "قطع رأس الأفعى"[9] وما أعقبه ذلك من مساعي السعودية وإسرائيل لاعتبار إيران مصدر تهديد للأمن في المنطقة.[10]

وفي لبنان، تسبب اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في وقوف الطرفين في خط المواجهة في الساحة السياسية ولا سيما مع تشكل تحالفات 8 آذار وتحالف 8 آذار مما سمح بتجمع الحلفاء المحليين مع شركائهم الدوليين.[11] إلا أنه رغم العنف والعداء بين إيران والسعودية، تكاتف كلا البلدين لمنع اندلاع

[7] Barzegar, K. (2000). Detente in Khatami's Foreign Policy and its Impact on the Improvement of Iran – Saudi relations. Discourse: An Iranian Quarterly, 2(2), 155 – 178.
[8] Dodge, T. (2005). Inventing Iraq: The Failure of Nation Building and a History Denied. New York: Columbia University Press; Tripp, Chalres. (2007). A History of Iraq. Cambridge: Cambridge University Press.
[9] 9 08RIYADH649_a SAUDI KING ABDULLAH AND SENIOR PRINCES ON SAUDI POLICY TOWARDS IRAQ (20.04.08) Available from: https://wikileaks.org/plusd/cables/08RIYADH649_a.html
[10] Mabon, S. (2018). Muting the Trumpets of Sabotage: Saudi Arabia, the US and the Quest to Securitise Iran. British Journal of Middle Eastern Studies, 45(5), 742–59
[11] Haddad, S. (2009). Lebanon: From Consociationalism to Conciliation. Nationalism and Ethnic Politics, 15(3-4), 398-416.

حرب أهلية في لبنان. وفي نفس الوقت سعت الرياض إلى كسب ود الرئيس السوري بشار الأسد مما ساهم في تراجع النفوذ الإيراني في المنطقة.

الثورات العربية

خلفت الثورات العربية انقسامات بين حكام وشعوب المنطقة التي تتشارك في العديد من العادات والتي أصبحت ساحة للتنافس الجيوسياسي مما خلق ما أسماه بول نوبل "غرفة عازلة للصوت".[12] ففي المجتمعات التي تخضع لإنقسامات طائفية وبالأخص سوريا والبحرين، تخلق هذه الانقسامات فرصا لإيران والسعودية لتحسين وضعهم الإقليمي في المنطقة على حساب الطرف الأخر.[13]

بينما اكتسبت الاحتجاجات التي اندلعت زخماً إعلامياً وشعبوياً من حيث جني العديد من المكاسب واثباتها لحقيقة أنه يمكن الإطاحة بالأنظمة السياسية، أضافت هذه الأحداث بُعدا جيوسياسياً آخر في المشهد السوري حيث لعبت قوات النخبة الإيرانية دورا محوريا في تشكيل استراتيجية نظام االرئيس السوري بشار الأسد للتصدي للمتظاهرين والجماعات الإسلامية التي نشأت في خضم التظاهرات إذ كان لهذا الصراع تداعيات مدمرة على السوريين. ففي البحرين، عبرت قوات درع شبه الجزيرة التي تقودها السعودية جسر الملك فهد لحماية وتأمين حكم آل خليفة وسط انتشار مزاعم حول الدور الإيراني في تأجيج الحِراك الشعبي الذي اندلع في البحرين.[14]

ويعكس هذا الاستعراض الموجز لمجريات الأحداث في المنطقة طبيعة العلاقات بين إيران والسعودية التي تخضع لعوامل وظروف طارئة و استثنائية يجسدها عنصري الزمن والمكان. فالعوامل الهيكلية التي شاع وجودها في هذه الأوقات، ومن بينها مخاوف تتعلق بالنظام الإقليمي ومزاعم تمثيل العالم الإسلامي، ظلت أسيرة لعنصر "الوكالة" الذي تمثل وجوده عبر مستويات مختلفة. ومن هذا المنطلق، يكتسب عنصر المكان بالإضافة لعنصر الزمن أهمية خاصة في ظل هذه التطورات.

[12] 2 Noble, P. (1991). The Arab System: Pressures, Constraints, and Opportunities. In B. Korany and A. Dessouki (Eds.), The Foreign Policies of Arab States. Boulder: Westview. pp. 57.
[13] Mabon, S. (Ed). (2018). Saudi Arabia and Iran: The Struggle to Shape the Middle East. London: Foreign Policy Centre
[14] Mabon, S. (2012). The Battle for Bahrain: Iranian- Saudi Rivalry. Middle East Policy, 19(2), 84-97.

الاحتمالات البراجماتية

شهد العقد الماضي واحدة من أكثر فترات التدهور في العلاقات بين البلدين، إلا أن ثِمة تحولات محتملة على المدى القصير والمتوسط لإيجاد طرق للتقارب بين الطرفين. فالانسحاب الوشيك للولايات المتحدة من العراق وانتقال منطقة الشرق الأوسط إلى مرحلة ما بعد الولايات المتحدة سيمنح فرصة لكبار دول المنطقة إبداء رأيهم وتحديد مصيرهم الأمني بعيدا عن أي تدخل خارجي.[15]ولطالما كان الدعم الأمريكي للسعودية عائقا أمام تحسن العلاقات السعودية الإيرانية. فقد أولت الجمهورية الإسلامية أهمية كبيرة لإيجاد حلول لتعزيز الأمن والاستقرار في المنطقة مما يدعم تطلعاتها نحو الاستقلال في سياساتها الخارجية وتراجع حدة التدخل الخارجي، إلا أن الرد السعودي على مثل هذه المقترحات غير واقعي في ظل الضمانات الأمنية التي تقدمها الولايات المتحدة.

وربما يتغير الموقف السعودي في ضوء شعورها بتخلي الولايات المتحدة عنها وعدم الاعتماد عليها خاصة بعد الهجمات التي تعرضت لها منشآتها النفطية خلال 2019 وعدم قراءة المشهد السياسي بشكل صحيح خلال فترة حكم الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بالإضافة إلى تداعيات اغتيال القائد السابق لفيلق القدس الإيراني قاسم سليماني في العراق في عام 2020.[16] فقد كشف هذا الحادث النقاب عن المخاوف التي تسيطر على المملكة العربية السعودية وحلفاؤها باعتبارهم أهداف محتملة لدى إيران للرد على الاغتيال. ومن المفارقات أن هذا الحادث قد يدفع نحو خلق مساحة أمام تحسين العلاقات كما يتضح من خلال تسارع الدول الإقليمية لاسترضاء الجمهورية الإسلامية في أعقاب ذلك الحادث. كما تمكنت إيران من إظهار قدراتها العسكرية التي غالبا ما يتم اعتبارها ضعيفة أمام القوة الأمريكية، في تحذير واضح لحلفاء الولايات المتحدة الإقليميين. علاوة على ذلك، ومع تراجع حدة الصراع في سوريا وضعف الرغبة لدى التحالف السعودي لاستكمال عملياته العسكرية في اليمن، انخفضت حدة الصراع بين الرؤى التنافسية للسعودية وإيران حول النظام الإقليمي. سيؤدي حتماً هذا السلام المستدام الناشئ عن كلا النزاعين المأساويين تحسين احتمالات التقارب بين الطرفين على نطاق أوسع. كما أن دور سلطنة عمان كوسيط في المنطقة

[15] Nasirzadeh, S. and Wastnidge, E. (2020). De-securitizing through Diplomacy: De-sectarianization and the View from the Islamic Republic. The Review of Faith & International Affairs, 18(1), 23-33.
[16] Mabon, S. and SEPAD fellows. (2020). The Death of General: What's next for Iran, Iraq and the wider Middle East?. Foreign Policy Centre, January 16, 2020. https://fpc.org.uk/the-death-of-a-general/

وتصاعد نفوذ العراق باعتبارها جسرا محتملا بين القوتين سوف يفسح المجال لتسهيل إنفراجة الأزمة.

بالإضافة إلى ذلك، فرضت التحديات الاقتصادية ضغوطًا هائلة على كلا الدولتين إذ أسفرت جائحة كوفيد 19 عن تفاقم حجم هذه القضايا. ففي المملكة العربية السعودية ، تطلبت جهود ولي العهد الأمير محمد بن سلمان لتحويل اقتصاد المملكة من خلال مشروع "نيوم" موارد مالية ضخمة مما يفرض تحديات على المملكة ، كما هو موثق بالتفصيل في مقال "سوكرو شيلدير" في هذا التقرير.

أخيرًا وليس آخراً، لا يزال الجانب الديني ، الذي غالبًا ما يُنظر إليه على أنه مجال تنافسي بين البلدين مهماً لدى كلا الطرفين إذ تحافظ إيران والمملكة العربية السعودية على العلاقات خاصة في هذا الجانب الحيوي. ورغم أن الوصاية السعودية على أقدس المواقع الإسلامية تغذي تطلعاتها للهيمنة على العالم الإسلامي إلا أنه يقدم مثالًا معبرًا لكيفية استغلال الدين كوسيلة للحفاظ على العلاقات بين الدول. على سبيل المثال ، يوفر الحج الذي يعد نقطة خلاف خلال السنوات الماضية مساحة للمشاركة الدبلوماسية بين مسئولي كلا الجانبين فيما يتعلق بتسهيل دخول الحجاج الإيرانيين للمواقع المقدسة.

العوامل الهيكلية

على الرغم من احتمالات التقارب كما هو موضح آنفاً، لا يزال ثَمَّةَ عدد من العقبات الهيكلية التي تحول دون تتويج الجهود الرامية إلى نشر السلام في المنطقة.

1. دور الولايات المتحدة

منذ عام 1979 ، لعبت الولايات المتحدة دورا اتسم بالتعقيد في منطقة الخليج إذ يُنظر إلى دور الولايات المتحدة بشكل مختلف عبر الخليج. فبالنسبة للمملكة العربية السعودية هي مصدر للأمن ، بينما تعتبرها إيران مصدرا لعدم الاستقرار. علاوة على ذلك ، تسببت قوة علاقة واشنطن بالسعودية في رفض الإيرانيين للوساطة أو الدور السعودي بدعوى أن الولايات المتحدة هي العدو الحقيقي لهم. فخلال المناقشات التي دارت مع دبلوماسي إيراني سابق ، أرجع فشل الجهود المبذولة لتسهيل تحسين العلاقات الإقليمية خلال حقبة التسعينيات إلى أنها لم تحظ بالدعم الأمريكي. وإلى أن تتم معالجة هذه القضية ، هناك بصيص من الأمن يلوح في الأفق أمام تحسن العلاقات بين الجانبين.

2. التنافس المحلي

تتسم السياسات الداخلية في كلتا الدولتين بالتعقيد إذ تنقسم المجتمعات على أسس دينية وقبلية وعرقية، بمعني أن الأنظمة تواجه تحديات لضمان بقائها. علاوة على ذلك، يخلق عدم الاستقرار الداخلي احتمالات للتدخل الخارجي، مما يثير شكوكا حول ولاء الأقليات، كما أن خلق سياسات إقصائية يؤدي إلى تفاقم هذه التوترات.

3. التطييف الجغرافي للسياسات الإقليمية

عقب الانتفاضات العربية ، وقعت عمليات "تطييفية" في عدد من الدول. هذه العمليات ليست استطرادية أو خطابية بحتة ، لكنها تلقى صدى بين المجتمعات التي تولي اهتماماً للهويات الدينية. ومع اكتساب الطائفية شكلا جيوسياسيا، وما خلفته من آثار على التوترات بين المملكة العربية السعودية وإيران ، اكتسبت المظالم المحلية طابعا إقليميا والعكس صحيح. وهو ما جعل جهود المصالحة أكثر صعوبة بسبب المعاني الإضافية التي تنطوي عليها مثل هذه النزاعات.

من السهل أن نرى كيف يتم استيعاب المظالم داخلياً عبر الزمن، كما لمسناه واقعياً في بلدان أخرى في أرجاء المنطقة. ومن ثم سوف يستغرق فك التشابك في هذه العوامل المادية والفكرية وقتاً ويتطلب قدراً هائلاً من العمل الشاق. ومع ذلك ، تظهر فترات التقارب بين الجانبين إن المهمة ليست مستعصية وإنما تتطلب حلولاً مبتكرة.

التنافس السعودي الإيراني: تحليل الحسابات الاستراتيجية السعودية

سينزيا بيانكو

لطالما اتسمت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وإيران بالتنافس الجيوسياسي والخلاف حول الايديولوجية والهوية. فمنذ أن حولت الثورة الإسلامية عام 1979 إيران إلى نظام ديني تحدى قادتها، وفي مقدمتهم آية الله روح الله الخميني ، بشدة القيادة السعودية للعالم الإسلامي. ولا يزال يشكل تعريف الخميني للسعوديين في وصيته بأنهم "خونة للحرمين الشريفين" و "غير جديرين بتولي شؤون الحج والكعبة"[1] مصدر قلق بالغ لدى الحكام السعوديين الذين ينظرون إلى وصايتهم على الأماكن المقدسة كجزء لا يتجزأ من الشرعية. ولا يزال خطاب الخميني يعتبر أساس تشكيل الفكر الاستراتيجي وراء التصرفات الإيرانية.[2] من ناحية أخرى، وصف الفكر الاستراتيجي السعودي مراراً وتكراراً إيران بأنها قوة خبيثة تهدف إلى الاستفادة من حرمان الشيعة من حقوقهم وفراغ السلطة المحلية لبناء شبكة من الوكلاء لتصدير الثورة الخمينية ومعها تأثيرها الجيوسياسي.[3] وهذا المزيج المعقد من السلطة والهوية هو بالضبط ما رسخ التنافس بين الجانبين الذي قد تزداد حدته تحت تأثير الظروف الخارجية.

وقد لعبت العمليات الدولية والإقليمية التي انطلقت منذ أوائل العقد الأول من القرن الحالي هذا الدور تحديدا خاصة بالنسبة للرياض. فقد مهد غزو الولايات المتحدة للعراق في عام 2003 والإطاحة بنظام صدام حسين السني الطريق لتقوية الأحزاب والميليشيات الشيعية في بغداد وذلك بدعم من إيران.[4] ففي الوقت الذي أثار فيه الربيع العربي التساؤل بشأن النظام الإقليمي وخلق فجوات جديدة في السلطة مع الإطاحة بالأنظمة الديكتاتورية المستمرة منذ عقود، تنافست القوى الإقليمية بما في ذلك الرياض وطهران لسد هذه

[1] The New York Times. (1987), Excerpts from Khomeini speeches. The New York Times, Augus 4, 1987
[2] Al-Badi, A. (2017). Saudi-Iranian Relations: A Troubled Trajectory. In A. Ehteshami, N. Quilliam, G. Bahgat (Eds.), Security and Bilateral Issues between Iran and its Arab Neighbours. London: Palgrave Macmillan
[3] See for instance Shihabi, A. (2018). The Iranian Threat: The Saudi Perspective. London School of Economics and Political Science blog, June 15, 2018. https://blogs.lse.ac.uk/mec/2018/06/15/the-iranian-threat-the-saudiperspective/ (accessed March 13, 2019).
[4] Kostiner, J. (2011). GCC Perceptions of Collective Security in the Post-Saddam Era. In M. Kamrava (Ed.), The International Politics of the Persian Gulf. New York: Syracuse University Press

الفجوة بفرض تواجدهم في المنطقة.[5] وفي الوقت الذي تحظى فيه إيران بعلاقات وثيقة مع العراق ولبنان، تنافست إيران والسعودية على بسط هيمنتهما على سوريا واليمن. كما أدت الاحتجاجات في المنطقة الشرقية ذات الأغلبية الشيعية في المملكة العربية السعودية وفي البحرين، وبدعم سياسي من طهران، إلى اقتراب خطر المحاصرة من الرياض. وأدى توقيع الاتفاق النووي أو خطة العمل الشاملة المشتركة بين الولايات المتحدة والقوى الأوروبية والصين وروسيا وإيران في عام 2015 إلى تصور مدى تعاظم القوة الإيرانية عقب هذا الاتفاق.[6] وفي هذا السياق، أدى التقشف التدريجي للولايات المتحدة ، المنهكة من الحروب وربما الشرق الأوسط بشكل عام ، إلى خلق تصور في الرياض يوحي بأن قوة الردع الأمريكية لم تعد بنفس القوة التي كانت عليها في السابق. وأعادت سياسات إدارة ترامب المعادية لإيران الطمأنينة للسعودية بشكل مؤقت إلا أن ترامب فشل في الوفاء بوعده لردع إيران. ففي سبتمبر 2019 ، تعرضت منشآتان استراتيجيتان لشركة الطاقة السعودية الكبرى "أرامكو" في منطقتي بقيق وخريص لهجوم بطائرات بدون طيار وتم توجيه أصابع الاتهام إلى الحرس الثوري الإسلامي[7]، لكن حتى مقتل قائد الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني، ردا على الهجمات المباشرة من قبل وكلاء متحالفين مع إيران على المناطق التي تهيمن عليها الولايات المتحدة في العراق أعاد الثقة لدى السعودية تجاه القوة الأمريكية. فقد شعر السعوديون، الذين لم يتم استشارتهم أو تحذيرهم إزاء هذه التطورات، بأنهم معرضون للمخاطر.[8] على العكس من ذلك ، أدى انسحاب ترامب من الاتفاق النووي وإعادة فرض عقوبات قاسية على إيران كجزء من حملة "الضغط الأقصى" المدعومة من قبل الرياض إلى تركيز إيران على عقيدة "الدفاع الأمامي" بشكل أكبر.[9] وأصبح الهجوم على

[5] Gause III, G. (2014). Beyond sectarianism: The new Middle East cold war. Brookings Doha Center Analysis Paper 11.

[6] Akbarzadeh, S. (2016). Iran and the Gulf Cooperation Council Sheikhdoms. In K. Almezaini, J. Rickli (Eds.), The Small Gulf States. New York: Routledge.

[7] Pérez-Peña, R.; Kirkpatrick, D.; Crowley, M. (2019). Trump Says Iran Appears Responsible for Saudi Attack but That He Wants to Avoid War. New York Times, September 16, 2019. https://www.nytimes.com/2019/09/16/world/middleeast/saudi-oil.html; Deutsche Welle. (2019). Germany, France and Britain blame Iran for Saudi oil attack. Deutsche Welle, September 23, 2019. https://www.dw.com/en/germany-france-and-britain-blame-iran-for-saudi-oil-attack/a-50554985

[8] Farouk, Y. (2020). What Does the U.S. Killing of Soleimani Mean for Saudi Arabia?. Carnegie Endowment for International Peace, January 7, 2020. https://carnegieendowment.org/2020/01/07/what-does-u.s.-killing-ofsoleimani-mean-for-saudi-arabia-pub-80722

[9] Yossef, A. (2019). Upgrading Iran's Military Doctrine: An Offensive "Forward Defense". Middle East Institute, December 10, 2019. https://www.mei.edu/publications/upgrading-irans-military-doctrine-offensiveforward-defense

حلفاء الولايات المتحدة الإقليميين الذين دعموا سياسات ترامب السبيل لرفع التكاليف الإجمالية للعداء ضد طهران.

إن الخلفية المنقسمة حول هذا الصراع في المشهد الجيوسياسي المضطرب لا تزال ضرورية لوضع العلاقات السعودية الإيرانية في سياقها، وخاصة من وجهة نظر الرياض ، والأساليب المطروحة لتحسينها. فعدم التطابق و التوافق في التصورات الأمنية بين الدولتين الواقعتين على الخليج هو المنظور الذي ترى من خلاله كل من طهران والرياض علاقاتهما الثنائية. ورغم دعوات الحكومة الإيرانية بقيادة حسن روحاني لإنشاء منظومة أمنية مستحدثة على الصعيد الإقليمي من خلال مبادرة هرمز للسلام "هوب" إلا أنه يتم تفسير ذلك بشكل مختلف تماما عبر منطقة الخليج. فمن وجهة النظر السعودية، تعرض إيران حماية دول الخليج من نفسها.[10] بالإضافة إلى ذلك، وعلى المدى الطويل، قد تشجع هذه المبادرة على تقليص حجم الدور الأمريكي في المنطقة الذي يُنظر إليه على أنه مستمر بالفعل، مما يعزز توازن القوى الذي لا يزال غير مفضل من الناحية الهيكلية للأنظمة الملكية العربية في الخليج.

وبالنسبة لطهران، يكمن الأمل المعقود على المبادرة في ترسيخ بنية تحتية أمنية تهدف إلى الاستقرار والتي من شأنها على المدى الطويل إضعاف الدور الأمريكي في منطقة الخليج .[11] الأهم من ذلك ، أن هذه المبادرة ستعزز شرعية الوجود الإيراني في منطقة الخليج ، وهو ما تعتبره طهران حقها الوجودي وبل يؤدي رفض الاعتراف به إلى مزيد من محاولات الرغبة في تأكيد وجوده، وبالتالي فإن إيجاد وسيلة للخروج من المعضلة سوف يستغرق إجراءات وخطوات طويلة ومعقدة، وسيتطلب حتما مرحلتين أوليتين.

المرحلة الأولى: فشل استراتيجية المقاومة والتصدي

إلى أن يقتنع كلا الجانبين أن استراتيجية الصد لا يمكن أن تحقق أهدافهما المرجوة، لن تكون هناك إرادة سياسية كافية للسعي نحو تحقيق دبلوماسية مستدامة وطويلة الأجل وهيكلية تحت قيادة الملك سلمان وولي العهد الأمير محمد بن سلمان، حاولت الرياض اللجوء إلى هذه الاستراتيجية من خلال استخدام قوتها السياسية والعسكرية بما في ذلك الدخول في حرب ضد المتمردين الحوثيين المدعومين من إيران في

[10] Author's interviews. Riyadh, October 28, 2019.
[11] Barzegar, K. (2019). Evaluating The Hormuz Peace Endeavor. LobeLog, November 6, 2019. https://lobelog.com/evaluating-the-hormuz-peace-endeavor/

اليمن في عام 2015 ومن خلال ممارسة الضغط السياسي على الحكومة اللبنانية المدعومة من حزب الله في عام 2017. إلا أنه على مدار السنوات ، فشلت هذه الاستراتيجية في تحقيق الأهداف المرجوة ، فعلى سبيل المثال ، تحولت حرب اليمن إلى مستنقع ولم تتمكن القوات السعودية من القضاء على الحوثيين. كما ظلت الحكومة اللبنانية مستقرة وباتت تمثل واحدا من مفاتيح الدعم لدى حزب الله .[12] وعلى نحو مماثل، فإن استخدام إيران لقوتها السياسية والعسكرية للرد على المملكة العربية السعودية كان له نتائج متباينة. فالهجوم الذي تعرضت له البنى التحتية لشركة النفط السعودية "أرامكو" خلال 2019 دفع المملكة إلى اتخاذ إجراءات طارئة لاحتواء التصعيد الفوري بما في ذلك فتح حوار مع إيران عبر تدخل أطراف ثالثة. لكن هذا الأمر أعاق الطريق نحو إجراء محادثة بشكل أكبر حول البنية الأمنية "هوب" بل ودفع الرياض إلى البحث عن مصادر أخرى لردع التهديدات الإيرانية في المستقبل.[13]

وعلى الجانب الآخر، لا تزال الرياض تؤمن باحتمالية نجاح استراتيجية "الصد الاقتصادي" التي تعد جزءا من حملة "الضغط القصوى" التي تقودها الولايات المتحدة ضد إيران.[14] فحسب المنطق السعودي، سوف تغذي العقوبات الكبيرة الضغوط الداخلية مما سيجبر الحكومة الايرانية على تقديم تنازلات جيوسياسية مقابل تخفيف العقوبات. ومع اندلاع موجة جديدة من الاحتجاجات ضد الجمهورية الإسلامية داخل إيران وفي العراق ولبنان، تعتقد الرياض أن طهران سوف تصبح قريباً في حاجة إلى المساعدة الاقتصادية وسيصبح موقفها ضعيفا عند عودتها إلى طاولة المفاوضات. على العكس من ذلك، تراهن إيران على قدرتها على المرونة وسرعة التكيف القائمة على أساس أيديولجي وكذلك على قدرتها على إعادة توجيه المظالم بالإضافة إلى استراتيجية قمع الاحتجاجات.[15]

[12] Gordon, P. (2018). Saudi Arabia's war in yemen has failed. The Washington Post, November 12, 2018. https://www.washingtonpost.com/news/global-opinions/wp/2018/11/12/saudi-arabias-war-in-yemen-has-failed/; Maksad, F. (2020). Lebanon's Halloween Government. Foreign Policy, 22 January 2020, https://foreignpolicy.com/2020/01/22/lebanons-halloween-government

[13] Bianco, C. (2019). Saudi Arabia's frozen-conflict tactics. European Council on Foreign Relations, November 7, 2019. https://www.ecfr.eu/article/commentary_saudi_arabias_frozen_conflict_tactics

[14] Reuters. (2019). Saudi minister says maximum pressure only way to get Iran to negotiate. Reuters, October 24, 2019. https://www.reuters.com/article/us-usa-iran-saudi/saudi-minister-says-maximum-pressure-only-wayto-get-iran-to-negotiate-idUSKBN1X30XM

[15] Gerenmayeh, E. (2019). After the Iran protests: How Europe can keep diplomacy alive. European Council on Foreign Relations, Decmber 10, 2019. https://www.ecfr.eu/article/commentary_after_the_iran_protests_how_europe_can_keep_diplomacy_alive

لم يفشل استخدام البعد الاقتصادي في مواجهة إيران في تحقيق أهدافه بعد كما لم يتم توظيف كافة أبعاده أيضا. إلا أنه وبالنظر إلى وضع الجانبين فإن هذه الاستراتيجية سوف تُمنى بالفشل أيضًا. كما أن الفشل الذريع سوف يخلق حالة من انعدام الأمن في المنطقة، لذا يتوجب الاستغناء عن هذه الاستراتيجية واتخاذ إجراءات فعالة لتقويضها.

ومن هذا المنطلق، من المهم ألا تنضم أطراف دولية غير الولايات المتحدة إلى تبني هذه الاستراتيجية القائمة على الصد بل قد يكون من المهم أن بتقويضها. على سبيل المثال، كشف التدخل الفرنسي لإحباط الضغوط السياسية السعودية على رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري عام 2017 في عدم فاعلية اتخاذ مثل هذه الإجراءات. وعلى العكس من ذلك ، فإن الفشل الأوروبي في الحفاظ على فتح المجال التجاري مع إيران في ظل تعثر الاتفاق النووي مع إيران بإيعاز من الولايات المتحدة عزز القناعة الخاطئة بأن الصد الاقتصادي استراتيجية قابلة للتطبيق.

المرحلة الثانية: عزل المنافسة

يتأثر الصراع السعودي الإيراني بالتغيرات الإقليمية والدولي بشكل جوهري. وكما أسلفنا وفي غضون السنوات القليلة الماضية، امتد الصراع إلى العديد من المناطق والمجالات الإقليمية. ومن الجدير بالذكر أن معالجة ميزان القوى الإقليمي دون حل هذا الصراع وحركة التفاعلات الإيرانية السعودية المرتبطة به يمثل إشكالية معقدة. ويتطلب الهروب من المعضلة "البيضة أولا أم الدجاجة" طرح حلول جريئة وحاسمة. وقد يكون الحل المحتمل هو محاولة رأب الصدع فيما يخص هذه المستجدات التي تطرأ على العلاقات السعودية الإيرانية بالتوازي وبعيدا عن الملفات أو مظاهر تجلي هذا الصراع. يجب على الجهات الدولية التركيز على إعادة تشكيل الصمود الداخلي للبلدان المحاصرة والمتنازع عليها، مع تقديم مجموعة أكثر تنوعًا من الخيارات للاعبين المحليين لتحسين علاقاتهم الدولية. ويمكن تحقيق هذا الهدف خلال الصراعات التي تشهد مرحلة التعافي ولو بشكل مؤقت.

وبهذا المعنى، يمكن أن تمثل المفاوضات الجارية بشأن حل الصراع اليمني فرصة سانحة لحل الصراع السعودي الإيراني. ففي نهاية عام 2019، بدأت المملكة العربية السعودية، المنهكة جراء الصراع، في

فتح حوار مع الحوثيين في عُمان، في تحول تدريجي يهدف إلى خفض تصعيد المواجهة في اليمن.[16] ويكتسب هذا التحول زخماً محدوداً مع إتاحة فرص ضئيلة للجهات الفاعلة الدولية لتحويل نتائج هذه المفاوضات إلى خطوات مستدامة إلى الأمام بدلا من أن تبقى مجرد إجراءات تكتيكية لتخفيف الآثار الناجمة. وقد تكون إحدى الوسائل في العودة إلى اتفاقية ستوكهولم / الحديدة الموقعة في عام 2018 بوساطة من الأمم المتحدة والتي وضعت أطر وقف مستدام لإطلاق النار والتي لم يتم تنفيذها بالكامل.[17] وفي هذا الإطار، يمكن إضفاء مزيد من الزخم لمهام بعثة الأمم المتحدة المكلفة بدعم اتفاق الحديدة والتي تسعى إلى طمأنة الرياض وحليفتها الرئيسية أبو ظبي بأن الحوثيين لن يتمكنوا من السيطرة على أحد أكبر موانئ البلاد (أي، ميناء الحديدة) مقابل منع الغارات السعودية الإماراتية التي من شأنها تعطيل مهام فرق الإغاثة والمساعدات الإنسانية.

بشكل عام، يمكن استغلال ضم الحوثيين لمسار المفاوضات والضغط عليهم من أجل الالتزام ببنود الاتفاق خاصة تلك المتعلقة بالتوقف عن الهجمات الجوية التي تشنها على المملكة العربية السعودية لدفع السعوديين للمضي قُدماً نحو السماح بإعادة فتح المطار في العاصمة اليمنية صنعاء. وعلى الجانب الآخر، يجب على الأوروبيين الاستفادة من قدرتهم على التواصل مع طهران –وهو موقف مفيد نظرا لأن المبعوث الخاص للأمم المتحدة إلى اليمن لا يمكنه السفر إلى طهران وفق القيود والخطوط الحمراء المرتبطة بمهام عمله –والتعاون الوثيق مع سلطنة عُمان بصفتها الوسيط الرئيسي بين الجانبين. وبالتالي، من خلال العمل على مستويات متعددة ، يمكن للاعبين الدوليين حل الصراع السعودي الإيراني في اليمن دون التعامل معه كنقطة محورية في سياستهم تجاه اليمن.

كما أسلفنا، يجب أن تمضي هذه المبادرات الإقليمية جنبا إلى جنب مع الجهود المبذولة لاحتواء التصعيد على المستوى الثنائي. وبعيدا عن الحاجة إلى عرض آخر للوساطة، تحتاج الرياض وطهران إلى جهة فاعلة موثوق بها من كلا الجانبين يمكنها تسهيل إنشاء خط ساخن مباشر وثنائي وخاص لإبقاء الاتصال

[16] Alley, A. and Salisbury, P. (2019). Peace Is Possible in Yemen. Foreign Affairs, November 11, 2019. https://www.foreignaffairs.com/articles/iran/2019-11-11/peace-possible-yemen

[17] International Crisis Group (2019). Saving the Stockholm Agreement and Averting a Regional Conflagration in Yemen. International Crisis Group, July 18, 2019. Report 203. https://www.crisisgroup.org/middle-east-northafrica/gulf-and-arabian-peninsula/yemen/203-saving-stockholm-agreement-and-averting-regional-conflagrationyemen

مفتوحا خاصة فيما يتعلق بالعمليات النشطة. بالإضافة إلى ذلك، يمكن لمبادرات مثل البعثة البحرية الأوروبية التي تقودها فرنسا في مضيق هرمز (إيماسوه) أن تردع تفاقم حدة التوترات بين الجانبين خصوصاً فيما يتعلق بالمجال البحري خاصة وأن البعثة تنتهج موقفاً غير معادياً للأطراف المعنية على عكس البعثة المماثلة التي تقودها الولايات المتحدة.[18]

الخاتمة

يميل غالبية المفكرين وصناع السياسات الذين يسعون لإيجاد طرق لتهدئة حدة التنافس السعودي الإيراني واحتواء تداعياته على الأمن الإقليمي إلى تبني أفكار طموحة. ومن بين هذه الأفكار إنشاء منظومة أمنية إقليمية مماثلة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE) أو إبرام اتفاق جديد مدعوم من السعودية حول البرنامج النووي الإيراني بحيث يتضمن برنامج زمني أطول ونظام تفتيش أشد وشروط تضبط وجود أنظمة الصواريخ الباليستية الإيرانية وتحييد ممارسات طهران الإقليمية، على أن تشمل المفاوضات الجانب العربي في منطقة الخليج ولو بشكل غير مباشر.[19] مما لا شك فيه أن مثل هذه الأفكار تتبنى الحلول الأكثر منطقية وشمولية لهذه المواجهة العصيبة. ومع ذلك، لا يمكن أن تكون الخطوات الملموسة تجاه هذه الأمور فعالة ما لم يكن هناك إخفاق واضح في استراتيجيات الصد وفك ارتباط العديد من القضايا الإقليمية بالتوترات بين المملكة العربية السعودية وإيران. لذا فالإرادة السياسية أمر لا مفر منه فبدونها سيكون القبول بإنهاء الصراع دون شروط مسبقة نوعا من التنازل. وينبغي على الجهات الفاعلة الدولية أن تلعب دورا رئيسيا في بناء جسور تفاهم عملية لتشجيع وترسيخ أي خطوة لتخفيف التصعيد بين الجانبين.

[18] France Diplomacy. (2020). European Maritime Awareness in the SoH (EMASOH): political statement by the governments of Belgium, Denmark, France, Germany, Greece, Italy, the Netherlands, and Portugal. France Diplomaties, January 20, 2020. https://www.diplomatie.gouv.fr/en/french-foreignpolicy/europe/news/article/european-maritime-awareness-in-the-soh-emasoh-political-statement-by-the

[19] Two examples among a number of relevant intellectual works are: Hanelt, C. and Koch, C. (2015). A Gulf CSC could bring peace and greater security to the Middle East. Bertelsmann Stiftung, Issue 2.; Vakil, S. and Quilliam, N. (2019). Getting to a New Iran Deal. Chaham House Research Paper, October 22, 2019. https://reader.chathamhouse.org/getting-new-iran-deal-guide-trump-washington-tehran-europe-and-middle-east

علاقات بالوكالة بين إيران وحزب الله

شهرام أكبر زاده

غالبا ما ينظر المحللون إلى العلاقات بين جمهورية إيران الإسلامية وحزب الله اللبناني على أنها تحالف شيعي، فالانتماء الشيعي لكلا الطرفين هو مظهر واضح لهويتهم الدينية المشتركة. في هذا الإطار، تعتبر إيران دولة دينية فريدة من نوعها مدفوعة بأجندة أيديولوجية، فتصريحاتها الثورية حول دعم المظلومين ضد الظالمين تعزز تلك الصورة. كما أن فكرة "الدولة المنبوذة" التي تتحدى الوضع الراهن غير العادل وتدافع عن مصالح المسلمين هي أمر أساسي لوجهة نظر إيران عن نفسها. كما أن الفكرة القائمة على أن إيران فريدة من نوعها وقائمة على أسس أخلاقية يتم الترويج لها من قبل النظام الحاكم في إيران ويتم تقديمها كمبرر لسلوك إيران الخارجي.

تستخدم هذه الاستثنائية لتقديم العلاقة بين إيران وحزب الله كشراكة ضد التجسيد الإقليمي للشر. فقد أطلق آية الله روح الله الخميني، زعيم ثورة 1979 في إيران، على الولايات المتحدة لقب "الشيطان الأكبر". وجاءت إسرائيل في المرتبة التالية في قائمة الخميني ولا تزال هدفا للخطابات اللاذعة السامة بسبب احتلالها للأراضي الفلسطينية. ومن ثم فإن شراكة إيران مع حزب الله لها هدف واضح وملموس تعلنه القيادة الإيرانية بكل فخر: مقاومة احتلال إسرائيل للأراضي الإسلامية. ويصبح الإبقاء على "محور المقاومة" ضد إسرائيل هي مهمة إيران الثورية ردا على الظلم التاريخي الذي لحق بالمسلمين تحت أنظار القوى الاستعمارية في منتصف القرن العشرين.

ومع ذلك ، تكمن خلف هذه التصريحات الأيديولوجية تقييمات محسوبة للتهديدات الأمنية لإيران. يتعلق تقييم هذا التهديد في المقام الأول بالعلاقة العدائية بين إيران والولايات المتحدة، وهي العلاقة التي تدهورت في أعقاب الغزو الأمريكي لأفغانستان والعراق بل وبدا لاحقا أنها مهيأة لمواجهة شاملة خلال فترة حكم الرئيس ترامب. فتمركز القوات الأمريكية على جانبي إيران ووصف الرئيس جورج دبليو بوش إيران بأنها عضو في "محور الشر" وتوجه واشنطن لـ "تغيير النظام" كلها عوامل اعتبرتها طهران إشارات تحذيرية على تحرك وشيك ضدها. وانعكس هذا التهديد الوجودي على الداخل الإيراني مع صعود محمود أحمدي نجاد إلى سدة الحكم في عام 2005، لتشهد التوترات في المنطقة مزيداً من التصعيد. من ناحية أخرى، لطالما

تم اعتبار إيران من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل والمملكة العربية السعودية تهديدا إقليميا ومصدرا لعدم الاستقرار. وتشكل صفقات الأسلحة التي تبرمها السعودية مع الولايات المتحدة مصدر قلق في طهران. كما أن إسرائيل كررت دعواتها لاتخاذ إجراءات ضد إيران، بل وحذر رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو قادة العالم من أن إيران على وشك صُنع قنابل نووية. في هذه البيئة المعادية، والتي كانت إيران وقوداً لها، افتقرت طهران إلى القوة العسكرية التقليدية للرد على التهديدات، خاصة وأن العقوبات الدولية المفروضة على اقتصادها على مدار عدة سنوات تسببت في عدم حداثة أنظمتها ومعداتها العسكرية واستنفادها بشكل خطير. ولهذا، تسعى إيران إلى تعويض قوتها العسكرية المحدودة من خلال رعاية جهات فاعلة شبه حكومية واكتساب القدرة على التأثير المحتمل من خلال حلفائها.

إن العلاقة مع حزب الله محورية بالنسبة لإيران. إذ يقدم حزب الله لإيران القدرة على مد نفوذه في الشرق ويهدد إسرائيل والمصالح الأمريكية بالانتقام في حالة محاولة تغيير النظام في إيران. وتم تسليط الضوء على أهمية حزب الله بالنسبة لإيران في الحرب الأهلية السورية من خلال قدرته على الوقوف في وجه تنظيم الدولة الإسلامية في سوريا والعراق (داعش) والمقاتلين الآخرين المناهضين للأسد المقربين من تركيا. وكان تدخل إيران بنشر مقاتلين من الحرس الثوري الإسلامي مع وجود وحدات أخرى أصغر من المقاتلين الأجانب مثل الفاطميون (المكونة من بعض أفراد من الشيعة الأفغان) والزينبيون (فصيلة مقاتلة موالية للنظام مكونة من الشيعة الباكستانيين) عاملا محوريا عزز من فرص بقاء الرئيس السوري بشار الأسد في الحكم. ويمكن القول إن العلاقات بالوكالة التي خلقتها إيران أثبتت مدى فاعليتها في التصدي لأي تهديد لوجودها الإقليمي. تبدأ هذه الورقة البحثية بمراجعة وجهة النظر للعالم في إيران من أجل إيجاد تفسير لخطابها الأيديولوجي، ثم استعراض مراحل تطور حزب الله كقوة قتالية تحت رعاية إيران وقدراته المتزايدة في مواجهة العمليات الإسرائيلية وشن حملة ناجحة لإنقاذ الأسد من الجماعات المتمردة. تثبت هذه القدرات أن إيران اكتسبت القدرة على إبراز قوتها في المنطقة على الرغم من القيود العسكرية المفروضة عليها.

النظرة الإيرانية للعالم

النظرة العامة لإيران والتي روج لها مؤسسو الجمهورية الإسلامية هي مزيج من الثورية الماركسية ومناهضة العالم الثالث للاستعمار والتبشير الإسلامي. وقدم الخميني تعريفاً للدولة الإسلامية بشكل يناقض مع نظام بهلوي المخلوع كما رفض سياساته التي انتهجها والمتمثلة في فتح أبواب بلاده للتدخل الغربي وبشكل أكثر

تحديدًا تلقي الأوامر مباشرةً من الولايات المتحدة التي أطلق عليها الخميني لقب "الشيطان الأكبر". وبات ينظر إلى الولايات المتحدة كمصدر الشر على الصعيد العالمي وبات قدر إيران ما بعد الثورة أن تتحدى هذا الواقع باعتبارها نصيرة "المضطهدين" ضد غطرسة وسيطرة "المستكبرين". سمحت هذه النظرة العامة لقادة جمهورية إيران الإسلامية بإبراز رؤية كبرى للمستقبل متجاوزة لحدود الوطن والإقليم. على سبيل المثال، يجسد دستور إيران الثوري لعام 1979 هذه النظرة للعالم إذ تجعل المادة 152 البشرية جمعاء وخاصة المسلمين، مرجعها في السياسة الخارجية الإيرانية والتي تنص على ما يلي:

> ترتكز السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس إنهاء أي نوع من الهيمنة، والحفاظ على الاستقلال الكامل وسلامة أراضيها والدفاع عن حقوق جميع المسلمين وممارسة عدم الانحياز فيما يتعلق بالقوى المسيطرة، والحفاظ على علاقات سلمية متبادلة مع الدول غير المحاربة.

وفي سياق شؤون منطقة الشرق الأوسط، كانت هذه الرؤية تعني رفض معظم إن لم يكن كافة الحكومات الإقليمية لكونها جزءا من آلية القمع ضد الشعوب الإسلامية. وشنت إيران هجوما شرساً ضد إسرائيل، واصفة إياها بالكيان الصهيوني ومحتل القدس وأراضي المسلمين. ومن ثم، يمكن القول أن الحملة المعادية لإسرائيل خدمت أهداف إيران من خلال تقديمها كنصير للمصالح الإسلامية. وأتاح الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1982 لإيران فرصة مناسبة للاستثمار في أجندتها المعادية لإسرائيل من خلال رعاية تشكيل حزب الله. جاء ذلك في وقت كان الشيعة في لبنان مستعدين للحشد في مواجهة التهميش السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعدوان الإسرائيلي. وبرهنت رسالة إيران لمقاومة الظلم والعدوان قدرتها على توظيف وتأجيج هذه المشاعر التي تحفز وتُلهب حماسة الشعوب المضطهدة.[1] كما منحت الأيديولوجية الثورية الإيرانية حزب الله تفوقا على الميليشيات الشيعية الأخرى في لبنان بمساعدة إيران وسوريا، وسرعان ما اكتسبت الهيمنة على المنظمات الشيعية الأخرى وأثبتت أنها قوة قتالية فعالة ضد إسرائيل.[2] ومنذ البداية أعلن حزب الله اعتزازه بتقاربه الأيديولوجي مع إيران، فالوثيقة التأسيسية لعام 1985 ، بعنوان "الرسالة

[1] Shanahan, R. (2005). The Shi'a of Lebanon: clans, parties and clerics. London: Tauris Academic Studies. pp. 108.

[2] Deeb, L. (2012). Hizbullah in Lebanon. In S. Akbarzadeh (Ed.), Routledge Handbook of Political Islam (pp. 74-88). London: Routledge. pp. 78.

المفتوحة إلى المستضعفين في لبنان والعالم" تعلن الولاء للرؤية الإيرانية للدولة الإسلامية القائمة على حكم ولاية الفقيه.[3] ويتبنى الحزب النظرة العالمية لإيران عندما أعلن الأمين العام لحزب الله صبحي الطفيلي (1989–1991) في عام 1987: "نحن لا نعمل ولا نفكر داخل حدود لبنان، هذا البلد الصغير المقسم بفعل الإمبرالية التي خلفت إرثاً ثقيلاً . وبدلاً من ذلك، نسعى للدفاع عن المسلمين في جميع أنحاء العالم".[4] وفي هذا السياق كانت رعاية إيران لمليشيا عربية في مواجهة إسرائيل تهدف إلى تعزيز صورتها كبطل مناصر للقضية الإسلامية وإلى تعزيز مكانتها الإقليمية.

العلاقات بالوكالة

طوال حقبة الثمانينيات وما بعدها، رعت إيران تشكيل حزب الله وتوسعه واستعداده للمواجهة ضد المحاولات الإسرائيلية المتكررة لتدميره. وأصبح بقاء الحزب من الأساطير التي تتردد في أصداء الشوارع العربية وأثبت التزام إيران به باعتباره من أهم "إنجازات" الثورة ومن علاماتها المضيئة.[5] وفي عام 2006 ، اندلعت التوترات على طول الحدود الإسرائيلية اللبنانية مرة أخرى بعد أن نفذ حزب الله هجوما عبر الحدود لأسر جنود إسرائيليين إلا أن الرد الإسرائيلي كان ساحقا. فقد نفذت القوات الجوية الإسرائيلية أكثر من 11 ألف مهمة قتالية.[6] وعلى الرغم من القوة العسكرية لإسرائيل، استأنف حزب الله إطلاق الصواريخ عبر الحدود على أهداف إسرائيلية. ولم يكن مستغرباً أن يتم الإشادة بنتائج حرب عام 2006 واعتبارها انتصار من قِبل حزب الله وداعميه في طهران. وكانت حرب عام 2006 أو حرب تموز حسب التسمية الشائعة هي المرة الأولى التي لا تستسلم فيها قوة عسكرية عربية للحملة العسكرية الإسرائيلية.[7] وأعلن رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني أن حزب الله دمر "أسطورة إسرائيل التي لا تقهر" ليصبح الأمر سببا للاحتفال والفخر في ايران.[8]

[3] Hezbollah's Open Letter (1985), http://www.cfr.org/terrorist-organizations-and-networks/open-letterhizballah-program/p30967

[4] Cited in Kramer, M. (1994). Hizbullah: The Calculus of Jihad. Bulletin of the American Academy of Arts and Sciences, 47(8), 30.

[5] Menashri, D. (2007 Summer/Spring). Iran's regional policy: between radicalism and pragmatism. Journal of International Affairs, 60(2), 157.

[6] Kober, A. (2008). The Israel Defense Forces in the Second Lebanon War: Why the Poor Performance?. The Journal of Strategic Studies, 31(1), 23-24.

[7] Milan, M. (2013). Why Tehran Won't Abandon Assad(ism). The Washington Quarterly, 36(4), 79-93.

[8] Cited in Chubin, S. (2009). Iran's Power in Context. Survival, 51(1), 172.

كقوة قتالية قوية تم تجربتها في لبنان ، يمثل حزب الله أهمية استراتيجية لطهران في ظل بيئة دولية معادية لها.وكثيرا ما أكد القادة الإيرانيون التزامهم التام تجاه حزب الله وكثيرا ما يتعمدوا تذكير الولايات المتحدة وإسرائيل باستمرار بأن أي هجوم على إيران سيكون مكلفًا للغاية بالنسبة لهما. فعلى سبيل المثال تفاخر آية الله جعفر شجوني، عضو جمعية رجال الدين المقاتلين، بأن زعيم حزب الله حسن نصر الله أكد له مدى التزام الحزب بأمن إيران.[9] وقد أكد نصر الله ذلك عندما حذر إسرائيل من مغبة شن هجمات على المنشآت النووية الإيرانية والذي سيقابله "رد هائل" من جانب الحزب.[10] وأصبح تقديم حزب الله كجزء من آلية الدفاع الإيرانية وضعا أساسيا في طهران وركيزة مهمة لما يسميه الرئيس روحاني مبادئ الردع العسكري الإيراني.[11] ووفقا لتصريحات وزير الدفاع الإيراني حسين دهقان، فإن " تعزيز حركة المقاومة وحزب الله لمحاربة النظام الصهيوني الدموي والمحتل يمثل أحد الثوابت والركائز العامة والحاسمة للسياسة الإيرانية".[12]

سوريا وصعود داعش

بالنسبة لطهران تمثل سوريا العمود الفقري لـ "محور المقاومة"، فهي الدولة العربية الوحيدة التي لديها تحالف أمني مع إيران، تحالف مستمر لأكثر من ثلاثة عقود ويحظى بتقدير واسع النطاق في طهران.[13] فحسبما صرح علي أكبر ناطق نوري، من طاقم مكتب المرشد الأعلى، لعبت " سوريا دور جسر التواصل بين إيران ولبنان خلال الحرب بين إيران والعراق... فعندما حاول البعض وصف الحرب بأنها حرب عربية ضد الفرس عارضت سوريا هذه الصورة ووقفت جنبًا إلى جنب مع إيران".[14] كما أن صعود داعش وما

[9] Dailey, K. (2011). Ayatollah: Hezbollah will respond to attack on Iran. The Daily Star, September 27, 2011. http://www.dailystar.com.lb/News/Lebanon-News/2011/Sep-27/149810-ayatollah-hezbollah-will-respond-toattack-on-iran.ashx

[10] Al Jazeera. (2012). Iran and Hezbollah issue warnings to Israel. Al Jazeera, August 17, 2012. http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2012/08/201281717556151270.html

[11] Fars News. (August 24, 2014) http://www.farsnews.com/newstext.php?nn=13930602000445

[12] Iranian Students' News Agency (January 27, 2015) https://www.isna.ir/news/93110703750/%D9%88%D8%B2%DB%8C%D8%B1-%D8%AF%D9%81%D8%A7%D8%B9-%D8%AA%D9%85%D8%A7%D9%85-%D8%B8%D8%B1%D9%81%DB%8C%D8%AA-%D9%87%D8%A7-%D8%B1%D8%A7-%D8%A8%D8%B1%D8%A7%DB%8C-%D8%AA%D8%B3%D9%84%DB%8C%D8%AD-%DA%A9%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%87-%D8%A8%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D8%B1%DB%8C-%D8%A8%DA%A9%D8%A7%D8%B1-%D8%AE%D9%88%D8%A7%D9%87%DB%8C%D9%85

[13] Goodarzi, J. (2006). Syria and Iran: Diplomatic Alliance and power politics in the Middle East. London: I.B. Tauris. pp. 18-23.

[14] Kayhan (September 12, 2014) http://kayhan.ir/fa/news/23898/

يشكله من خطر على نظام الأسد عزز القيمة الاستراتيجية للعلاقات الثلاثية (حزب الله وسوريا وإيران) وهو ما دفع إلى حشد حزب الله لتقديم الدعم لنظام الأسد. وقد عبرت القيادة الإيرانية بشكل صريح عن مدى التهديد الذي يمثله داعش. فعلى حد تعبير وزير الخارجية جواد ظريف في مايو 2015: "نحن ندعم الحكومة الشرعية في سوريا. لو لم نوفر هذا الدعم لسيطرة داعش على الحكم في دمشق الآن".[15] وزاد الضغط المستمر على نظام الأسد بحتمية تدخل حزب الله بشكل مباشر في الحرب السورية، حيث تولت عناصر حزب الله قيادة بعض العمليات العسكرية[16] واشتبكوا مع الجماعات المتمردة داخل سوريا لتعزيز دفاعات النظام السوري.[17] وكان استرداد حزب الله لمنطقة القصير من المتمردين في 2013 تذكيرًا بأهميته، وبرر نصر الله تصرفات حزب الله بأنها ضرورية للدفاع عن "العمود الفقري للمقاومة".[18] كان هذا المنظور أيضًا مهيمنًا في إيران، حيث كان يُنظر إلى داعش والجماعات المتمردة الأخرى على أنها نتاج مباشر أو غير مباشر للسياسة الأمريكية التي تهدف إلى تعزيز أمن إسرائيل من خلال تقويض سوريا. وأثبتت الغارات الجوية الإسرائيلية ضد وحدة حزب الله في الجزء السوري من هضبة الجولان وكذلك ضد القواعد الإيرانية في سوريا صحة هذا المنظور.[19] ووفقًا لـ "نصر الله" ، كانت سوريا موضوع " خطة سياسية بقيادة أمريكا والغرب وأدواتها في المنطقة".[20] بعبارة أخرى، كانت الحرب السورية فصلًا آخر في النضال ضد الإمبريالية الأمريكية والقمع الإسرائيلي.

ويظهر ذلك التصور جليا في الجهود الدبلوماسية للقيادة الإيرانية لإنهاء الحرب السورية. كما انخرطت طهران بشكل ملموس في الدبلوماسية الإقليمية لإيجاد حل للصراع وتعزيز المكاسب على أرض الواقع. برزت تلك الجهود منذ عام 2017 حيث توسطت إيران وتركيا وروسيا في مباحثات الأستانة للسلام بين

[15] Hoffmann, C. (2015). Interview with Iranian Foreign Minister: We Will Have Differences with US No Matter What. Der Speigel. May 16, 2015. http://www.spiegel.de/international/world/interview-with-iranian-foreignminister-mohammad-javad-zarif-a-1033966.html

[16] Barnard, A.; Saad, H.; Schmitt, E. (2015). An Eroding Syrian Army Points to Strain. The New York Times. April 29, 2015. http://www.nytimes.com/2015/04/29/world/middleeast/an-eroding-syrian-army-points-tostrain.html?_r=0

[17] Slim, R. (2014). Hezbollah and Syria: From Regime Proxy to Regime Savior. Insight Turkey, 16(2), 68.

[18] Quoted in Tokmajyan, A. (2014). Hezbollah's military intervention in Syria. Approaching Religion, 4(2), 105-114.

[19] BBC. (2015). Iran general died in Israeli strike in Syrian Golan. BBC, January 19, 2015. http://www.bbc.com/news/world-middle-east-30882935

[20] Reuters. (2013). Nasrallah says Hezbollah will bring victory to Syrian ally Assad. Reuters, May 25, 2013. http://www.reuters.com/article/2013/05/25/us-syria-crisis-hezbollah-idUSBRE94O09120130525

المعارضة السورية المسلحة ومندوبين من دمشق لإنشاء لجنة دستورية سورية. ومع التواصل إلى توافق حول الأمر يُذكر بين الأطراف المعنية، واستغلت إيران هذه المحادثات لإثارة مخاوف بشأن العمليات الإسرائيلية والأمريكية في سوريا. فعلى سبيل المثال، في محادثات سبتمبر 2019، أعلن روحاني التصريح التالي:

> يهدد الوجود غير الشرعي للقوات العسكرية الأمريكية على الأراضي السورية سلامة أراضي سوريا وسيادتها الوطنية ... ومن الضروري أن تغادر القوات الأمريكية هذه المنطقة في أقرب وقت ممكن.[21]

علاوة على ذلك ، وصف روحاني الهجمات الإسرائيلية في سوريا بأنها "مثال على التصرفات العدائية الاستفزازية وغير القانونية".

على الرغم من المكاسب العسكرية التي تحققت في سوريا ، فإن القيمة الدعائية لحزب الله بالنسبة لإيران تراجعت بشكل ملحوظ. تدهورت علاقات إيران كثيراً مع الجماعات السُنية مثل حماس والإخوان المسلمين بسبب دعم طهران لنظام الأسد. كما تسببت سياسة إيران تجاه سوريا في عزلتها عن المنظمات العربية الأخرى (ذات الغالبية السُنية) والشعوب العربية. كما أسفر تحول الحرب الأهلية السورية إلى صراع طائفي عن تقويض جهود إيران لتعزيز وقيادة جبهة إسلامية موحدة. لكن القيادة الإيرانية ترفض التخلي عن رؤيتها من خلال رفض توصيف الصراع بأنه حرب بين السُنة والشيعة ومن خلال استمرار الإشارة إلى إسرائيل والولايات المتحدة باعتبارهما أعداء حقيقيين. وهكذا تواصل إيران تعزيز خطابها الثوري لتبرير تدخلها في سوريا، فهي تروج لزريعة أيديولوجية مهمة لتقييم المخاطر الأمنية الإيرانية والتصدي للتهديدات.

الخاتمة

ثمة تكامل بين الأيديولوجية والتقييم الاستراتيجي في إيران، حيث يعزز كل منهما الآخر ويصعب فصلهما. وجهت النظرة الأيديولوجية لإيران نحو رعاية تشكيل حزب الله في لبنان والتحالف مع سوريا ضد إسرائيل

[21] Azizi, H. (2019). What the latest Astana summit tells us about Iran's position on Syria. Al-Monitor, September 17, 2019. https://www.al-monitor.com/pulse/originals/2019/09/astana-summit-iran-turkey-russia-positionsyria.html#ixzz6DbiNGdRN

والولايات المتحدة. وأثبت الدعم الإيديولوجي والعسكري لإيران دور فعال في قدرة حزب الله على الصمود أمام الهجوم الإسرائيلي. كما أن الفوائد كانت متبادلة، فبمقدور إيران الاستفادة من تمجيد انتصارات حزب الله وإعادة تأكيد دورها في قيادة الحملة التي تشنها ضد إسرائيل في العالم الإسلامي. كما أن قدرة إيران على تذكير إسرائيل والولايات المتحدة بأن لديها شريكا قرب إسرائيل يخدم هدفا استراتيجيًا حيوياً فهو بمثابة رادع مهم ضد أية ضربات جوية إسرائيلية أو أمريكية ضد المنشآت النووية والعسكرية الإيرانية ويمنح إيران ميزة لاستعراض القوة.

وبرزت أهمية حزب الله كأصل استراتيجي في السنوات الأخيرة بعد تهديد داعش لنظام الأسد. حيث تعتبر إيران داعش تهديدًا استراتيجيًا لحليفها الوحيد في العالم العربي. وبالنظر إلى عوامل الخطر المتزايدة، أعادت إيران تأكيد التزامها تجاه حزب الله لمواجهة المخاطر المحدقة بنظام الأسد وردع التهديدات المستقبلية لأراضيها. وفي هذا الإطار الجغرافي السياسي ، يسترشد كلا الفصيلين في النظام الإيراني بنفس المزيج من الضرورات الأيديولوجية والاستراتيجية التي حافظت على العلاقات مع حزب الله. فالحزب هو الشريك الراغب، إن جاز التعبير، في بقاء هذه العلاقات حيث يُعول الحزب كثيراً على الرعاية الإيرانية للحفاظ على قدراته القتالية. لكن هذه العلاقة أفادت التقييم الأمني لإيران وعوضت عن القيود المفروضة على استعراض قوتها التقليدية. يرى كلا الطرفين قيمة كبيرة في هذا الدعم المتبادل، مما يجعل العلاقات بالوكالة بين إيران وحزب الله قوية ومرنة.

يمثل هذا التصور المشترك للتهديد بين إيران وحزب الله حاجزًا رئيسيًا أمام أي محاولة لحل النزاع. تعتبر إيران المملكة العربية السعودية المصدر الأيديولوجي والمالي لتنظيم داعش والقوى الأخرى المناهضة لإيران أو المعادية للشيعة في المنطقة. وهذا يفسر الشعور العميق بعدم الثقة والازدراء للقيادة السعودية وحلفائها. وفي المقابل، تسبب سلوك إيران في إثارة القلق في الرياض وعواصم إقليمية أخرى ما تعتبره إيران استراتيجية للدفاع عن النفس يفسر على أنه عدواني وتوسعي. وتسببت مواقف إيران والخطاب المثير للإزعاج في إثارة المخاوف بشأن قدرتها على الالتزام بالقواعد الدولية والتوقف عن زعزعة استقرار الوضع الراهن، والذي غالبًا ما يتم صياغته على أنه احترام للسيادة الوطنية. ويمثل الشعور العميق بعدم الثقة المتبادل تحديا كبيرا في بناء جسور التفاهم والتغلب على الخلافات، لذا تحتاج أي محاولة إقليمية لنشر السلام وترسيخ الاستقرار عبر منطقة الخليج العربي إلى معالجة غياب الثقة بين الخصمين الإقليميين.

المملكة العربية السعودية وإيران والولايات المتحدة

لورانس روبين

في هذه الورقة البحثية الموجزة، أناقش بضعة أسئلة حول دور الولايات المتحدة في الصراع بين السعودية وإيران، فالعلاقة الأمريكية الإيرانية ممتدة ومعقدة وتتجاوز نطاق هذه المداخلة. ومع ذلك، فإن العلاقة الدائمة بين واشنطن والرياض – والتي تتمثل وظيفتها الرئيسية في العمل كضامن لأمن المملكة العربية السعودية – تعني أن الولايات المتحدة تلعب دورا رئيسيا في حماية الأمن الإقليمي للخليج وتبذل أي جهود لنزع فتيل التوتر في المنطقة.

1. إلى أي مدى يمكن للولايات المتحدة أن تلعب دور الوسيط في الصراع؟ وهل وجودها في الخليج يشكل عائقا للحيلولة دون التقارب بين الجانبين؟

للإجابة على السؤال، يجب فهم وإدراك مضمون السياق العام. تستند نقطة البداية لطرح أي نقاش حول السياسة الخارجية الأمريكية الحالية وتأثيرها على العلاقات السعودية الإيرانية إلى السياق الاستراتيجي الأوسع والأشمل الذي حددته استراتيجية الأمن القومي لعام 2017 واستراتيجية الدفاع الوطني لعام 2018. في تلك الوثائق، تعطي إدارة ترامب الأولوية للتهديدات والتحديات العالمية التي يجب على الولايات المتحدة معالجتها لتقديم إرشادات حول كيفية تخصيص الموارد الوطنية الأمريكية. وحسبما تطرق نخبة من الباحثين لهذا الموضوع مراراً وتكراراً في مواضع أخرى، تستند الفكرة الأساسية في هذه الوثائق إلى ضرورة تركيز الولايات المتحدة على منافسة القوى العظمى مع روسيا والصين. ونظرا لمحدودية الموارد وضعف الميزانية المخصصة، فهذا يعني أن شن عمليات مكافحة الإرهاب والتمرد في الشرق الأوسط يخصص له جزء أقل من الميزانية.

وبشكل عام هناك بعض أوجه الاستمرارية والانقطاع بين إدارة ترامب و إدارة أوباما السابقة لها والتي حاولت التوجه نحو آسيا في الوقت الذي دعمت فيه إعادة هيكلة الشرق الأوسط من خلال الاتفاق النووي مع إيران باعتباره ركيزة أساسية لإعادة تشكيل العلاقات الإقليمية. لكن إبرام الاتفاق أو الانسحاب منه فيما بعد من قبل الإدارة الأمريكية لم يغير حقيقة واحدة وهي أن المنافسة الإيرانية السعودية ظلت في مركز الصدارة

كعامل رئيسي في العديد من الصراعات الإقليمية. بينما سعت إدارة أوباما إلى الحصول على تسوية جيدة من خلال الاتفاق النووي وزعزعة النظام الإقليمي، تبنت إدارة ترامب نهجا مختلفا تمثل في استمرار حملة الضغط على إيران وفي نفس الوقت السعي لتكوين تحالف مضاد لتنظيم الدولة الإسلامية "داعش".

كان أقرب ما توصلت إليه إدارة ترامب لرسم ملامح الهيكل الإقليمي للمنطقة هو جهودها لتعزيز تحالف الشرق الأوسط الاستراتيجي (MESA)، وهو عبارة عن شراكة أمنية بين دول مجلس التعاون الخليجي ومن بينها البحرين والكويت وعمان وقطر والمملكة العربية السعودية والأردن ومصر. وقد أُعلن عن التحالف في مايو 2017. وعلى الرغم من أن هذا التحالف لم يتأسس لمواجهة التهديد الإيراني فمن المعقول افتراض أن الإدارة كانت تأمل في أن تدعم هذه الدول الجهود المعادية لإيران. ظهرت بعض التحديات التي فرضت نفسها على الساحة والتي ليست ذو علاقة وثيقة بالمسائل الطائفية وهو ما سوف استعرضه أدناه.

وبالنظر إلى هذا السياق الأوسع، تُثار مجموعة من التساؤلات على النحو التالي:

2. هل تستطيع الولايات المتحدة أن تمارس دورها كوسيط في هذا الصراع؟ وهل يمكنها تقليل حدة الطائفية في المنطقة وما هو تأثير وجودها في الخليج على الطائفية فيما يتعلق بالعلاقات السعودية الإيرانية؟

إن الولايات المتحدة ليست في وضع جيد للعب دور الوسيط لعدد من الأسباب، وبالتالي لا ينبغي الاعتماد عليها في هذا الشأن. فالإدارة الحالية تعتقد أن العمل كوسيط في هذا الصراع لن يخدم مصالح سياستها الخارجية، فالهدف الأساسي للولايات المتحدة فيما يتعلق بإيران هو إنهاء "الأنشطة الخبيثة" لطهران في المنطقة ووقف تطوير برنامجها للصواريخ الباليستية وإجبار إيران على وقف أو تغيير برنامجها النووي. تتوافق هذه الأهداف مع مساعي الولايات المتحدة التقليدية والمتمثلة في الحفاظ على الدخول الحر وغير المقيد إلى أسواق الطاقة وحماية شركاء أو حلفاء الولايات المتحدة.

حتى لو خدمت الوساطة الأمريكية لإنهاء الصراع مصلحة الإدارة الحالية، فلن يُنظر إلى الولايات المتحدة على أنها جهة فاعلة موثوق بها ليس فقط من قبل الخصوم ولكن أيضًا من قبل حلفائها. بالنسبة للإدارتين الأخيرتين، شكك الحلفاء الخليجيون في التزام الولايات المتحدة تجاه المنطقة بناء على تصريحات واشنطن. وهنا سوف يصبح أي عرض للوساطة الأمريكية مثار شك وريبة خاصة في أعقاب انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي في ظل إدارة ترامب.

إن دعم إدارة ترامب للمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ضد قطر خلال أزمة الخليج التي اندلعت عام 2017 مثال آخر على عدم النظر إلى الولايات المتحدة كوسيط في الصراع. كما أنه مثال على مدى تعقد القضية الطائفية. مع دعم حلفائها في المنطقة، أي المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة ضد قطر، قوضت إدارة ترامب جهودها في حملة الضغط التي تشنها ضد إيران. فالسياسة الخارجية الأمريكية لتشكيل التحالف المناهض لداعش بات أكثر تحديا في ظل عدم تمكن دول الخليج من تشكيل تكتل موحد. كما أنه من ناحية طائفية أو جيوسياسية، أظهرت هذه التحركات مدى هشاشة هذه الفئات الطائفية إذ أدت مقاطعة قطر (السُنية) إلى دفعها نحو (الشيعة) وحتى التقرب من تركيا (السُنية)، وهي دولة استضافت أيضًا قادة جماعة الإخوان المسلمين المنفيين (السُنة).

أخيرًا، لم يعزز انسحاب الولايات المتحدة من خطة العمل الشاملة المشتركة والمعرف باسم "اتفاق إيران النووي قدرتها على أن تكون وسيطا. فقد زاد الانسحاب من مخاوف الخليج بشأن التزام الولايات المتحدة تجاه المنطقة. وأثبت هذا الانسحاب مدى صحة الآراء المتشددة في إيران بشأن الولايات المتحدة كما برهن لدول الخليج أنه بإمكان واشنطن إلغاء أي اتفاق مماثل. ومن ثم يمكن القول إنه من الصعب التغلب على مشاعر الشك والعداء في تجاه مثل هذا الإجراء الذي قد يُنظر إليه فقط على أنه رد قصير المدى على أمر آخر. ومع ذلك ، تظل هناك بعض التساؤلات المهمة المطروحة: ما هي الطرق التي يمكن أن تؤثر بها السياسة الأمريكية على الطائفية بالنظر إلى سيناريو الصراع الأكثر احتمالًا وهو حدوث صدام بين الولايات المتحدة وإيران أو هجوم من قوة مدعومة من إيران ضد مصالح السعودية أو الإمارات. في هذه الحالة ، قد لا يكون هناك توجه لتحرك ملموس يهدف إلى نزع الطائفية أو تعزيزها (بمعنى احتدام عوامل الطائفية التي تؤجج الصراع) إلا إذا تم الاستناد إلى العوامل الدينية والرمزية في خِضم الصراع. وهنا تبدو عناصر الهوية متشابكة للغاية عبر المنظور الجيوسياسي بحيث لا تصبح ذات مغزى أو قيمة جوهرية في الوقت الراهن.

وهم التقارب؟ إيران والأنظمة الملكية بمنطقة الخليج: من المنظور الإسرائيلي

كليف جونز

مهما كان حجم الملاحقات القانونية التي يواجهها رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نيتنياهو داخل بلاده، فلا شك في أنه قد حقق سلسلة من الانتصارات الدبلوماسية في الشرق الأوسط. في الوقت الذي دأب فيه على إلقاء خطاباته المعادية ضد إيران في المحافل الدولية، كان رد فعل وزارات خارجية العديد من الدول الغربية مشوباً بالقلق، إلا أن تحذيراته بشأن طموحات إيران النووية والانتهاكات الإقليمية لاقت صدى كبيراً بين دول المنطقة خاصة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية والبحرين على وجه الخصوص.[1] ففي حين أن هذه الدول الثلاث لم ترسخ بعد علاقات دبلوماسية مفتوحة مع إسرائيل) حتى وقت كتابة هذه الورقة البحثية (إلا أنه من الواضح أن العلاقات بين تل أبيب من جهة والرياض والمنامة وأبو ظبي من جهة أخرى تميل إلى التعاون الأمني والتنسيق الدبلوماسي والتبادل الاقتصادي، وهو ما لم يكن من الممكن تصوره قبل عقد من الزمان فقط.[2]

ويجب ألا نغض الطرف عن حقيقة أن إسرائيل تمكنت مراراً وتكراراً من اختراق أنظمة الدولة العربية حتى قبل تأسيس دولة إسرائيل عام 1948 ، أنشأت إسرائيل علاقات سرية مع الأقليات في جميع أنحاء الشرق الأوسط وذلك لتسهيل الهجرة اليهودية (عليا) إلى فلسطين أثناء حقبة الانتداب البريطاني ولاحقًا لتقديم الدعم لمجموعات الأقليات في الدول العربية حيث ظل الرأي العام معارضًا بشدة للصهيونية وفكرة الشتات اليهودي في أوساطهم. وفيما عُرف بـ "عقيدة الأطراف" ، أرست إسرائيل علاقات وثيقة مع الأقليات العرقية والقومية مثل الأكراد في العراق والجماعات المسيحية في لبنان والقبائل المسيحية في جنوب السودان وفي الستينيات من القرن الماضي، القبائل الزيدية في شمال اليمن.[3] وبينما من الصعب تقدير نجاح هذه الاستراتيجية بشكل عام في إضعاف التوافق العربي، كانت نتائج حالة اليمن بمثابة تغيير واضح في لعبة

[1] Melman, Y. (2020). Wanted: An Arab prince or king, for election photo with Netanyahu. Ha'aretz, February 13, 2020. https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-netanyahu-wants-saudi-uae-prince-bahrain-moroccoking-for-election-photo-1.8524961

[2] Jones, C. and Guzansky, Y. (2020). Fraternal Enemies: Israel and the Gulf Monarchies. New York: Oxford University Press.

[3] Alpher, Y. (2015). Periphery: Israel's Search for Middle East Allies. London: Roman & Littlefield

السياسة آنذاك. فخلال حرب يونيو 1967 تورط أكثر من 50 ألف جندي مصري في حرب لا يمكن الانتصار فيها لدعم نظام جمهوري بالكاد امتد حكمه إلى ما وراء العاصمة صنعاء.[4]

على نحو متزايد ، أصبح هذا الأمر أحد جوانب القوة الناعمة لإسرائيل التي أعطت نفس تأثير القوة العسكرية. تحظى الخبرة الإسرائيلية في مجال الأمن الحاسوبي على وجه الخصوص بتقدير كبير خاصة من قبل الإماراتيين الذين تم بناء نظامهم للمراقبة الإلكترونية إلى حد كبير من قبل شركة " أجت الدولية" المملوكة لاسرائيليين والتي تعمل في زيورخ.[6] كما أن الطيارين الإماراتيين يتدربون جنبا إلى جنب مع نظرائهم الإسرائيليين في الولايات المتحدة وكذلك المشاركة في تدريبات حلف "الناتو" ، بينما أشارت التقارير إلى أن كتيبة إماراتية سافرت إلى إسرائيل لتلقي إحاطة حول استخدام إسرائيل للمقاتلة "إف 35" التي تستخدم حاليا في عمليات عسكرية. [7]

يشير هذا الأمر إلى قضية أوسع ربما تكون قد رسمت الخطوط العريضة للسياسة التي تتبعها إسرائيل مع العالم العربي: الوعي بالهويات البدائية التي تتجنب الفكرة الجماعية للعروبة والولاء لهوية وطنية فردية أو التمسك بعقيدة دينية فريدة. في حين أنه أصبح من المألوف استغلال ملف الطائفية من قبل عدة جهات، وهذه هي حقيقة الوضع الحالي لدول الشرق الأوسط العربية والاسلامية يرى باحثون إسرائيليون أن الطائفية ربما تنطوي على معانٍ طويلة الأمد أو دائمة تتعلق بالعالم العربي والجانب الإسلامي من الشرق الأوسط (5). وبينما يطلق هؤلاء الباحثين انتقادات للواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، يواصل صانعو السياسة النظر إلى هذه البيئة من خلال المنظور السياسي الواقعي *أو الريل بولتيك Realpolitik*. والدليل على ذلك يتمثل في أن معظم الإسرائيليين يتبنون هذه الرؤية حيث يعتقدون أنه على الرغم من السياسة الخارجية الواضحة وانتكاس الوضع الأمني إلا أن هذا النهج خدم الدولة اليهودية بشكل جيد. فإسرائيل تعد قوة اقتصادية وعسكرية وهي واحدة من دول الشرق الأوسط القليلة التي منحتها منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية وضع الدولة المتقدمة. كما أنها في مجالات البحث والتطوير ولا سيما مجال الأمن الحاسوبي صارت لاعباً عالمياً، فلا توجد دولة أخرى في

[4] Jones, C. (2010). Britain and the Yemen Civil War. Brighton: Sussex Academic Press.
[5] Susser, A. (2012). The “Arab Spring”: Competing Analytical Paradigms. Bustan: The Middle East Book Review, 3(2), 109-130.
[6] Jones and Guzansky (2020), 85-86
[7] Ibid, 83, 85-86.

المنطقة يمكن أن تضاهي براعتها في هذا المجال.

ربما كانت العلاقة مع المملكة العربية السعودية هي التي استأثرت جُل الاهتمام، فالموقف المتشدد الذي تبناه ولي العهد الأمير محمد بن سلمان تجاه إيران وقراره عام 2015 بشن عمليات قتالية ضد المتمردين الحوثيين في اليمن وحتى موقف الرياض المتشدد تجاه قطر نال استحسان نتنياهو . وزاد هذا الاستحسان عقب تصريحات ولي العهد السعودي لعدد من وسائل الإعلام والتي كانت أقل تأييدا للفلسطينيين ، مما يناقض الفهم المعلن للمعضلة الأمنية الإسرائيلية. ويبدو أن إحراز تقدم في مباحثات السلام مع الفلسطينيين لم يعد شرطا لا غنى عنه لتطوير العلاقات بين إسرائيل والعديد من دول الخليج. بالنسبة لإسرائيل ، يبدو أن هذا النهج مربح لكلا الجانبين: لا يقتصر الأمر على إقامة علاقات استراتيجية جديدة مع دول كانت تُضمر العداء لاسرائيل سابقا بل يتيح لإسرائيل التمتع بنفوذ أكبر في رسم الخطوات التي يجب اتخاذها حال حدوث أي تسوية مستقبلية مع الفلسطينيين.

وتأكيدا على هذا التحول أصبح من الشائع تقريبًا أن يلتقي مسئولين أمنيين سابقين من الجانبين السعودي والاسرائيلي لمناقشة المصالح الأمنية المشتركة بشكل علني في المنتديات الأكاديمية. وغالبًا ما يتم بث هذه الأحداث مباشرة إلى الجماهير في الشرق الأوسط. وقد لا يقارن ذلك بالعلاقات الدبلوماسية الرسمية (يزعم هؤلاء المشاركون دائمًا أنهم يتحدثون بصفتهم الشخصية) ولكن هذه الأحداث تمثل خطوات مهمة وتدريجية في إعداد الجماهير لعملية التطبيع. وفي الوقت الذي أثار فيه مقتل الصحفي السعودي جمال خاشقجي ضجة دولية كبيرة بعد أنه قتل في قنصلية بلاده بإسطنبول في أكتوبر 2018، كان نتنياهو أحد قادة العالم القلائل الذين رفضوا التنديد الصريح بالقتل الذي يُعتقد أنه تم تنفيذه بأمر من ولي العهد.[8]

وبالطبع ، فإن التهديد ات الإيرانية تدعم ظهر ما وصفته بأنه بنظام أمني ضمني. فقيام إيران باستخدام الوكلاء لتعزيز سلطتهم عبر ما أسماه الملك عبد الله ملك الأردن ذات مرة ب "الهلال الشيعي" واستمرار الشكوك في عواصم الخليج وتل أبيب بشأن طموحات طهران النووية عوامل دفعت المصالح الاستراتيجية المشتركة لإسرائيل إلى السماح للسعوديين والإماراتيين بامتلاك أسلحة عالية التقنية. وفي الوقت الذي تحرص فيه تل أبيب على الحفاظ على تفوقها العسكري أصبحت الآن أكثر تمييزا بشأن متى وكيف تمارس

[8] Ibid, 114-115.

الضغط على الكونجرس الأمريكي لاستخدام حق النقض ضد بعض الصادرات العسكرية. وبالنسبة للإسرائيليين ، فإن السعودية والإمارات والبحرين هي دول خط المواجهة ضمن استراتيجية إقليمية أوسع لاحتواء إيران. وبالمثل ، فإن تواصل العديد من دول الخليج مع إسرائيل والمنظمات الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة تم على أساس الاعتقاد بأن هذا قد عزز صوتهم في أروقة السلطة في واشنطن.

لكن مسار هذه العلاقات أصبح الآن عرضة للتحدي خاصة بالنسبة لملوك الخليج حيث يبدو أن الأحداث لا تصب في صالحهم. ورغم تحسن العلاقات مع إسرائيل ظلت العلاقة مع الولايات المتحدة أساس أمن الخليج بالإضافة إلى أن الجهود السعودية لدعم منظومة أمنية جديدة مع الدول العربية والإسلامية تبدت ومُنيت بالفشل.[9] ولكن لا يجب أن نبالغ في الحديث عن مدى التراجع أو الانسحاب الأمريكي من المنطقة. فرغم خطة خفض الانفاق التي تتبعها الولايات المتحدة إلا أنه لا يزال لديها أقوى تواجد بحري لقواتها في المنطقة، كما أن قاعدة "العُديد" في قطر لا تزال تمثل مركز قوة واشنطن في جميع أنحاء الخليج وجنوب آسيا. ومع ذلك ، وفي أعقاب الإدارة السابقة للرئيس باراك أوباما ، أثار الرئيس دونالد ترامب مخاوف من أن التزام واشنطن الدبلوماسي تجاه المنطقة غير كاف مقارنة بالجانب العسكري. ورغم أن الاستراتيجية الدبلوماسية التي يتبعها ترامب كانت أمرا صادما بالنسبة لملوك الخليج، خاصة وأن امتلاكهم أسلحة أكثر تقدماً في العالم لم يضاعف أو يعزز قدراتهم العسكرية كما ظهر هذا الأمر جليا خلال تدخلها في الصراع في اليمن. وبالفعل ، فإن الرد الضعيف من قبل المملكة العربية السعودية على الضربات التي استهدفت سفنها ، وكذلك الهجوم الصاروخي عبر طائرات بدون طيار على مصفاة النفط التابعة لها في بقيق وخريص في سبتمبر 2019 توحي بأن النظام غير واثق من وجهة الموقف الأمريكي ، إحساس تضاعف بعدم قدرة سياسة تغريدات "تويتر ' للرئيس ترامب على تعزيز الثقة في التزام واشنطن تجاه المنطقة. ربما يكون مقتل قاسم سليماني ، قائد الحرس الثوري الإيراني ، موضع ترحيب في الرياض إلا أن الأوامر التي صدرت لاغتياله كانت بمثابة رد فعل انتقامي على مقتل جنود أمريكيين في العراق على يد وكلاء الحرب المدعومين من إيران وليس بسبب الأضرار التي لحقت بالمملكة العربية السعودية.

تكشف المؤشرات أن السعودية تتجه إلى تخفيف حدة موقفها بعد سلسلة هجمات ضد الحوثيين في اليمن

[9] Miller, R. and Cardaun, S. (2019). Negotiating Insecurity: Small States and Multi-national Security Coalitions in the Middle East. Middle East Insights, (NUS/Middle East Institute), No.211 (September 2019), 1-5.

ومحاولات تقييد الدوحة من خلال فرض حصار اقتصادي عليها . وعلى الرغم من الضربات الجوية التي ساعدت على تسريع وتيرة الأزمة الإنسانية التي تعاني منها اليمن ، إلا أن ثمة مؤشرات ضعيفة على تراجع سيطرة الحوثيين على معظم أجزاء البلاد من بينها العاصمة اليمنية صنعاء جراء هذه الضربات. وبالمثل، بدأ التحالف الذي شكلته المملكة العربية السعودية لإضفاء الشرعية على أفعالها في اليمن في الانقسام مع إعلان شريكتها الرئيسية ، الإمارات، أنها لم تعد جزءا من التحالف بحلول نهاية عام 2019. كما أن هناك دلائل على إمكانية التوصل إلى تسوية مع قطر، التي أدت علاقاتها الودية مع إيران إلى جانب دعمها للإخوان ، وهي منظمة محظورة في السعودية والإمارات، إلى انهيار العلاقات بين البلدين. سبب آخر في رغبة السعودية في الوصول لتسوية مع قطر هو رغبتها في تطوير شبكة غاز إقليمية مما سيمكن الرياض من تخفيف اعتمادها المحلي على النفط والتعاون مع الدوحة وأبو ظبي لتطوير شبكة غاز إقليمية يمكن أن تنافس منتدى غاز شرق المتوسط الذي يضم إسرائيل ومصر والأردن وكذلك اليونان وقبرص. يأتي ذلك في وقت من المرجح أن يكون توزيع الطاقة والمنافسة على الأسواق عاملاً محددًا رئيسيًا في تشكيل تحالفات إقليمية جديدة خلال العقد القادم.[10]

لا تزال حالة التردد تهيمن على المشهد الإقليمي. فسوف تقوم الرياض وأبو ظبي وتل أبيب بتحديد مواقفها عندما تتضح نوايا الموقف الأمريكي من إيران بعد انتهاء الانتخابات الرئاسية وتسمية الرئيس الفائز بالمنصب. إلا أن إسرائيل يساورها بعض الشكوك حول نوايا إيران الإقليمية على الرغم من أن البعض، ولا سيما في المؤسسة الأمنية ، يواصلون التشكيك في الضغوط التي مارسها نتنياهو على البيت الأبيض ونجاحه في الدفع نحو انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران.[11] ومع ذلك، لا يزال الكثيرون في إسرائيل مقتنعين بأن التعامل مع نظام حرض بشكل صريح على القضاء على إسرائيل يتطلب واقعية صارمة ترى إيران على حقيقتها وليس ما يأمل الآخرون أن تكون عليه. وتحقيقا لهذه الغاية ، فإن الوثائق الخاصة بالبرنامج النووي الإيراني التي حصل عليها جهاز المخابرات الإسرائيلية "الموساد" كشفت عن مدى الطموحات النووية لإيران والتي شكلت مفاجأة مدوية للمراقبين المُطلعين والعالم بأسره. وتم

[10] Ibish, H. (2020). Competition for Mediterranean natural gas deepens as Gulf, European States join the fray. The Arab Gulf States Institute in Washington, February 27, 2020. https://agsiw.org/competition-formediterranean-natural-gas-deepens-as-gulf-european-states-join-the-fray/ (accessed April 20, 2020).
[11] Harel, A. (2019). Trump's about-face in Syria forces Israel to rethink its Middle East strategy. Ha'aretz, October 17, 2019. https://www.haaretz.com/israel-news/.premium-u-s-about-face-forces-israel-to-rethink-itsstrategy-in-the-middle-east-1.7995026

الكشف عن هذه الوثائق قبل أيام قليلة من انسحاب ترامب من خطة العمل الشاملة المشتركة أو الاتفاق النووي مع إيران في مايو 2018 إذ منحت هذه الوثائق ترامب غطاءً سياسياً لاتخاذه مثل هذا الإجراء.[12]

بالطبع، لا تزال إسرائيل متورطة في صراع مع إيران ووكلائها عبر جزء كبير من الهلال الشيعي فيما أصبح يشار إليه باسم "الحرب بين الحروب".[13] في البداية توخت إسرائيل الحذر إزاء الانجراف إلى العنف الداخلي المتمثل في الحرب الأهلية السورية إلا أن الجيش الإسرائيلي شن هجمات متوصلة منذ عام 2017 ضد إيران وحلفائها بالوكالة في جميع أنحاء لبنان وسوريا وحتى العراق، في محاولة لمنع تطوير الصواريخ الإيرانية.[14] وظل حزب الله على وجه الخصوص الهدف الرئيسي لمثل هذه الضربات ولا يزال مصدر قلق للكثيرين من أن التصعيد في هذا الصراع قد يتحول إلى نزاع مسلح واسع النطاق بين إسرائيل وإيران. ولهذا، فإن الحفاظ على علاقات وثيقة مع دول الخليج يصب دوماً في مصلحة إسرائيل على الرغم من أن تل أبيب تدرك جيدا أن الصراعات الإقليمية الأوسع لا تزال خارج قدرتها على السيطرة. وفي الوقت الحالي يمكن لإسرائيل تعزيز العلاقات التي أرستها بالفعل والتحذير من التهديد الإقليمي الذي تشكله أي تسوية مع إيران ومواصلة خوض حرب تعرف أنها قد تحتويها دون القدرة على هزيمة خصمها القابع على حدودها الشمالية.

[12] Bergman, R. (2019). Iran's great nuclear deception. Yediot Aharanot, November 29, 2019. https://www.ynetnews.com/articles/0,7340,L-5412157,00.html

[13] Lappin, Y. (2018) 'The War Between Wars': Israel'vs Iran in Syria fathom, October 2018. https://fathomjournal.org/the-war-between-wars-israel-vs-iran-in-syria/

[14] Kausch, K. (2017). Proxy Agents: State and Non-State Alliances in the Middle East. In L. Kamel (Ed.), The Frailty of Authority: Borders, Non-State Actors and Power Vacuums in a Changing Middle East. Rome: Istituto Affari Internazionali. pg. 65-75

آفاق المحادثات بين إيران والسعودية

بانفشاه كينوش

قد تؤدي المشاكل الاقتصادية وعدم اليقين المالي الناجم عن جائحة كوفيد 19 إلى فقدان إيران والمملكة العربية السعودية القدرة السياسية والاقتصادية المطلوبة لفتح محادثات هادفة بين الجانبين. كما يضع ذلك احتمالات إجراء محادثات مباشرة بين طهران والرياض جانبا خاصة وأن القضايا الإقليمية والدولية الملحة قد تجبر الجانبين على معالجة ما هو عاجل من مخاوف في القريب العاجل أو على المدى المتوسط.

على الجانب الآخر، ربما تحتم فرضيات المنطق السليم على كلا الطرفين التوصل إلى توافق إقليمي من شأنه خفض حدة التوترات بينهما لمواجهة قيود اقتصادية ومالية جمّة بسبب الضغوط الاقتصادية الناجمة عن انخفاض أسعار النفط و جائحة كوفيد 19. ورغم ذلك، ثمة دليل واضح على أنه عندما تشغل التوترات الإقليمية طهران والرياض مرة أخرى في ظل هذه الأوقات المتقبلة فإن القدرة على معالجتها بشكل ثنائي ستكون غير مطروحة في الأساس.

التوقعات بسوء الأوضاع الاقتصادية ومشاكل الميزانية تعطل المحادثات الإيرانية السعودية

إن تكامل اقتصادات إيران والمملكة العربية السعودية ضئيل أو معدوم ، كما أن هناك حالة من انعدام الثقة والشفافية بين البلدين بالإضافة إلى احتمالية عدم تعويض الخسائر التي تكبدتها كلا البلدين بسبب زيادة انتاج النفط وفي ظل انتشار جائحة كوفيد 19 من احتمالات وجود مصالح تجارية متبادلة بين طهران والرياض. فقد انخفضت أسعار النفط الخام إلى أدنى مستوياتها في التاريخ في أبريل 2020 ، مما أثر سلباً على مخصصات الموازنتين السعودية والإيرانية للسنة المالية الحالية.[1] وقد وضعت السعودية سعرًا قدره 60 دولارًا للبرميل لعام 2020 إلا أنها بحاجة إلى بيعه بسعر 80 . 86 دولار الأمريكي للبرميل الواحد وكذلك تحتاج إيران إلي بيع البرميل بسعر 389 دولارًا أمريكيًا وذلك وفقًا لحسابات صندوق النقد

[1] Lizzy Gurdus, “Crude Prices Plunge to Lowest Level in History – What Cramer and Others are Watching,” Trading Nation, April 20, 2020, https://www.cnbc.com/2020/04/20/crude-prices-plunge-to-record-lows-cramerothers-on-whats-next.html

الدولي.[2] وليس من المستغرب أن تعكس التوقعات انخفاضا في الميزانية السعودية عن الرقم المعلن سابقًا والبالغ 272 مليار دولار أمريكي للسنة المالية 2020. كما أن إيران غير قادرة على تحمل ميزانيتها المتوقع بلوغها 40 مليار دولار أمريكي.[3] ووفقا لتقارير البنك الدولي، أدى الركود الذي شهده الاقتصاد الإيراني إلى انكماش الناتج المحلي الإجمالي بنسبة 7.6 في المائة.[4]

نتيجة لقيود الميزانية، اضطرت السعودية إلى زيادة رسوم الاستيراد بنسبة 0.5 إلى 15 في المائة ورفع ضريبة القيمة المضافة من 5 إلى 15 في المائة للحصول على النقد المالي اللازم لميزانيتها المقدرة بحوالي 26.6 مليار دولار أمريكي وسط انخفاض أسعار المستهلكين المحليين واللجوء إلى تطبيق إجراءات تقشفية قاسية أخرى من خلال تخفيضات لا تقل عن 20 إلى 30 في المائة في الميزانيات المخصصة للمؤسسات الحكومية.[5] كما ستقترض المملكة مليارات الدولارات الأمريكية من خلال إصدار سندات لمعالجة الفجوة المتزايدة في الميزانية. وواجهت إيران عجزًا متوقعًا في الميزانية يبلغ 8.62 مليار دولار أمريكي ، واعتمدت على سندات دين بقيمة 5.5 مليار دولار أمريكي واحتياطيات النقد الأجنبي من صندوق التنمية الوطنية للطوارئ للسيطرة على العجز.[6]

---

[2] Elliot Smith, "How the Oil Price Capitulation Will Hit Nigeria, Saudi Arabia and other Major Exporters," CNBC, April 23, 2020, https://www.cnbc.com/2020/04/23/how-the-oil-price-capitulation-will-hit-nigeria-saudiarabia-and-other-major-exporters.html Marwa Rashad, Saeed Azhar, Stephen Kalin, "Saudi Arabia Asked State Agencies to Implement Big Budget Cuts: Sources," Reuters, March 11, 2020

[3] Pooya Stone, "A Look at Iran's 2020-2021 Budget," Iran Focus, December 10, 2019, https://www.iranfocus.com/en/economy/34128-a-look-at-iran-s-2020-2021-budget

[4] 4 "Iran's Economic Update – April 2020," The World Bank, April 16, 2020, https://www.worldbank.org/en/country/iran/publication/economic-update-april-2020.

[5] "Saudi Ministry of Finance: Additional Measures to Confront the Financial and Economic Impact of the Coronavirus Pandemic," Saudi Press Agency, May 11, 2020, https://www.spa.gov.sa/viewfullstory.php?lang=en&newsid=2084883#2084883 Tsvetana Paraskova, "Saudi Arabia Raises Import Duty to Offset Plunging Oil Revenues," Oil Price, June 4, 2020, https://oilprice.com/Latest-Energy-News/World-News/Saudi-Arabia-Raises-Import-Duty-To-Offset-PlungingOil-Revenues.html Marwa Rashad, Saeed Azhar, Stephen Kalin, "Saudi Arabia Asked State Agencies to Implement Big Budget Cuts: Sources," Reuters, March 11, 2020, https://www.reuters.com/article/us-saudieconomy-budget/saudi-arabia-has-asked-state-agencies-to-implement-big-budget-cuts-sourcesidUSKBN20Y0QA Irina Slav, "Saudi Arabia to Take on Billions in Debt to Survive the Oil Price Crisis," Oil Price, April 23, 2020, https://oilprice.com/Latest-Energy-News/World-News/Saudi-Arabia-To-Take-OnBillions-In-Debt-To-Survive-The-Oil-Price-Crisis.html.

[6] "Think Tank Deliberates on Government's Budgetary Woes," Financial Tribune, May 18, 2020, https://financialtribune.com/articles/domestic-economy/103431/think-tank-deliberates-on-government-sbudgetary-woes

وسوف يؤدي انخفاض أسعار النفط إلى إضعاف آفاق الاستثمار طويل الأجل للسعودية وإيران خلال الجائحة حتى مع دعم أسعار النفط عن طريق خفض الإنتاج الذي يرفضه كبار المنتجين من بينهم روسيا. ومع ذلك، وافقت منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبك) على خفض ما يقرب من 10 ملايين برميل من الإنتاج يوميًا حتى نهاية يوليو لتعزيز أسعار الطاقة.[7] وتدرس شركة النفط السعودية العملاقة "أرامكو" حركة بيع أخرى بقيمة 10 مليارات دولار في أصول غير أساسية مثل خطوط إمدادات النفط إذا تمكنت من جذب المستثمرين. في ظل مواجهة حملة العقوبات الاقتصادية كبيرة التي تقودها الولايات المتحدة ضدها ، فإن إيران غير قادرة على استقطاب أي استثمارات أجنبية هائلة في المستقبل.[8]

أدى انتشار فيروس كورونا إلى زيادة الإنفاق الصحي في إيران والمملكة العربية السعودية. لقد أصاب الوباء حركة التجارة والسياحة وتجارة التجزئة بحالة من الشلل العام، وقلل من سقف توقعات جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة. في السعودية ستؤدي التوقعات الاقتصادية العالمية المتراجعة باستمرار إلى عجز مالي على المدى المتوسط، مما يهدد بالقدرة على تحقيق رؤية 2030 التي تهدف إلى تنوع وزيادة الناتج الإجمالي المحلي من مصادر أخرى بخلاف النفط . لكن الاقتصاد السعودي يتجه باستمرار نحو الحفاظ على ارتفاع أسعار النفط أو الإنتاج ، بينما تتراجع الحكومة عن وعودها بدعم القطاع الخاص من خلال تشجيع خفض الأجور، وقبل انخفاض أسعار النفط ، كانت توقعات نمو الناتج المحلي الإجمالي ضعيفة عند حد 2.3٪ للعام المالي 2020. ويحتاج الاقتصاد السعودي إلى 50 مليار دولار أمريكي أي ما يقرب من 6.4٪ من عجز ميزانية الناتج المحلي الإجمالي.[9] وقبل جائحة كوفيد-19 شهد الاقتصاد السعودي نمواً بنسبة 0.3٪ فقط في عام 2019 على الرغم من نمو القطاعات غير النفطية والخصخصة

[7] "OPEC, Allied Nations Extend Nearly 10 Million Barrel Cut by a Month," Arab News, June 6, 2020, https://www.arabnews.com/node/1685761/business-economy.

[8] Matthew Martin, Dinesh Nair, Archana Narayanan, "Saudi Aramco Considers $10 Billion Pipeline Stake Sale," Bloomberg, April 23, 2020, https://www.bnnbloomberg.ca/saudi-aramco-considers-10-billion-pipelinestake-sale-1.1425756.

[9] "Budget Statement Fiscal Year 2020," Ministry of Finance, https://www.mof.gov.sa/en/financialreport/budget2020/Documents/Bud-Eng2020.pdf; Marwa Rashad, Saeed Azhar, Stephen Kalin, "Saudi Arabia Asked State Agencies to Implement Big Budget Cuts: Sources," Reuters, March 11, 2020, https://www.reuters.com/article/us-saudi-economy-budget/saudi-arabia-has-asked-stateagencies-to-implement-big-budget-cuts-sources-idUSKBN20Y0QA.

والاستهلاك والاستثمارات.[10] ومن المرجح أن التداعيات الاجتماعية والاقتصادية للجائحة تصبح أكثر تدميراً من الاحتجاجات المتكررة ضد الفقر التي اندلعت في إيران قبل تفشي الوباء، حيث ينخفض متوسط الرواتب الشهرية بسرعة إلى أقل من 1000 دولار أمريكي في المناطق الحضرية و500 دولار أمريكي في المناطق الريفية وذلك بمستوى أسعار الصرف الرسمية أعلى بثلاث مرات من أسعار السوق الفعلية.[11]

التوترات الاجتماعية تبطئ مسار سياسات الدبلوماسية الإقليمية

يكاد يكون مستوى التفاعل الاجتماعي بين السعوديين والإيرانيين معدوما إلا خلال فترات الحج. لكن انتشار فيروس كورونا أوقف الحج بعد أن اتهمت السعودية إيران بالانتشار المتعمد للفيروس عبر الحجاج، واتخذت خطوات للسيطرة على حركة الحجاج السعوديين من وإلى إيران مع وضع الحجر الصحي في المنطقة الشرقية ذات الأغلبية الشيعية. وفي غضون ذلك ، استضافت إيران مئات الحجاج الشيعة من دول الخليج العربية بعد تفشي الوباء، وتعاونت مع قطر لتسهيل عودتهم إلى بلدانهم.

اتخذت السعودية منذ ذلك الحين إجراءات سريعة لوقف انتشار فيروس كورونا ، لكن استمرت حصيلة الوفيات الناجمة عن الإصابة بالفيروس نحو الارتفاع في المملكة. وكان فرض التباعد الاجتماعي تحديًا صعبًا بشكل خاص بين المجموعات المحافظة دينيا وفي المساجد ودور الصلاة. بالإضافة إلى ذلك، تسبب الوباء في تأجيل تنفيذ خطط الإصلاح الاجتماعي اللازمة بقيادة ولي العهد محمد بن سلمان بن عبد العزيز[12]، فقد تم إعادة تخصيص الميزانية المطلوبة لهذه الإصلاحات والتي تتماشى مع برامج الرعاية الاجتماعية في المملكة لمواجهة انتشار الوباء في المملكة. وعلى الجانب الآخر، تواجه إيران تحديا مماثلا، لكنها اتخذت إجراءات محدودة النطاق للسيطرة على فيروس كورونا واللجوء إلى تبني سياسة مناعة القطيع التي فشلت في احتواء الوباء. ربما أوقف فيروس كورونا مؤقتًا معظم الاحتجاجات المناهضة للفقر في إيران ، لكن الاحتجاجات الاجتماعية لم تتوقف تمامًا نظرًا للانتشار السريع لمعدلات الفقر في أرجاء

[10] "Saudi Arabia's Economic Update," The World Bank, April 16, 2020, https://www.worldbank.org/en/country/gcc/publication/saudi-arabia-economic-update-april-2020.

[11] Corona and Household Income," Donya-e Eghtesad, March 12, 2020, https://donya-e-eqtesad.com/- شخب اهراوناخ - دمآرد - انورک-. 3634218/28- هلاقمرس

[12] Paul D. Shinkman, "Oil, Coronavirus Cost Saudi Crown Prince," US News, May 6, 2020, https://www.usnews.com/news/world-report/articles/2020-05-06/oil-coronavirus-challenge-mohammed-binsalmans-power-in-saudi-arabia.

البلاد.

ويمكن القول إن هناك مخاطر كبيرة مرتبطة بانتشار الفقر وتأخر تنفيذ البرامج الاجتماعية في كل من إيران والمملكة العربية السعودية. في إيران تسببت معدلات الجوع والفقر الشديدة بالإضافة إلى المعدلات المرتفعة لإدمان المخدرات بطرق غير مشروعة في أزمة اجتماعية طاحنة.[13] كما أنه رغم احتياطيات المملكة من العملات الأجنبية التي لا تزال قوية، أقل من 500 مليار دولار أمريكي تقريبًا، إلا أن البلاد قد تشهد أزمة اقتصادية مع اعتماد السعوديين بشكل مستمر على الرواتب العامة أيضا، وهو ما قد ينسف جهود ولي العهد لتطوير اقتصاد البلاد.[14]

يمكن أن تتحول إيران والسعودية نحو أنظمة سياسية أكثر رسوخًا وصعوبة في التغيير نتيجة لهذه التوترات المجتمعية، مما قد يؤخر آفاق تحسين المحادثات بين الجانبين. يخلق تعقد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لكلا البلدين فضلا عن السياسة الخارجية العدائية تجاه بعضهما البعض معضلة لإيران والمملكة العربية السعودية، فكلاهما غير قادرعلى كسر حالة الجمود في المحادثات مما لا يفسح مجالًا متسعاً للانخراط في مفاوضات هادفة خاصة وأن البلدين يواجهان مخاوف وتحديات في الداخل.

استبعاد المخاوف الإقليمية والدولية بشأن إيران خيارات ذات مغزى

يُصر كبار أمراء المملكة على أنهم لا يرغبون في مزيد من الصراع في المنطقة، لكنهم لا يترددون في إلقاء اللوم على طهران بسبب عدم الاستقرار الإقليمي.[15] من جهة أخرى، حثَ رئيس البرلمان الإيراني الجديد محمد باقر قاليباف على تحسين العلاقات مع دول الجوار من بينهم السعودية إلا أنه أيضًا يفتقد الرؤية والتصور لآليات وأساليب حدوث ذلك.

وفي الخليج، أبدت السعودية تأييدها لجهود التحالف البحري الأمريكي لضمان سلامة الملاحة البحرية

[13] Banafsheh Keynoush, "In Iran, Socioeconomic Impact of COVID-19 Could Outlast Its Physical Harm," Inside Arabia, April 22, 2020, https://insidearabia.com/socioeconomic-impact-of-covid-19-in-iran-couldoutlast-its-physical-harm/

[14] Stephen Kalin, "Saudi Arabia's Foreign Reserves Fall Sharply," Market Watch, May 31, 2020, https://www.marketwatch.com/story/saudi-arabias-foreign-reserves-fall-sharply-2020-05-31.

[15] "Turki Al-Faisal: Saudi Arabia 'Not Looking for War," CNN, https://www.cnn.com/videos/tv/2020/01/07/turki-al-faisal-amanpour-saudi-arabia-iran-united-statessoleimani.cnn

وانتشار قوات أمريكية إضافية في الممرات المائية، بينما تعمل أيضًا عن كثب مع دول أخرى لها مصالح استراتيجية في استقرار وأمن الخليج بما في ذلك اليابان والصين وروسيا ودول أوروبية أخرى. كما دعمت المملكة نشر قوات أمريكية في قاعدة الأمير سلطان الجوية جنوب الرياض[16] مما أعاق الجهود الإيرانية بشكل مؤقت لممارسة السيطرة على الممر المائي. ومن حين لآخر، تعترض طهران الناقلات التي ترفع أعلام لدول أجنبية مختلفة وتستخدم قوارب عالية السرعة وتنفذ تدريبات عسكرية لتأكيد نفوذها.

وفي سوريا ، تواجه إيران مشاكل أكبر من التعامل مع السعودية، إذ تعرضت مواقعها في سوريا للقصف الجوي من قبل الولايات المتحدة واسرائيل خلال ديسمبر 2019 عقب استعراض أولي للقوة من قبل الجماعات المسلحة الموالية لإيران مثل كتائب حزب الله وقوات "الحشد الشعبي" بقيادة أبو مهدي المهندس لاقتحام السفارة الأمريكية في بغداد، وأعقب ذلك شن غارات جوية أمريكية ضد أهداف كتائب حزب الله في كلٍ من العراق وسوريا.[17]

هيمنت ضغوط واشنطن المستمرة على إيران على الخلافات السعودية الإيرانية في أجزاء أخرى من المنطقة أيضًا. فقد أدت التوترات بين إيران والولايات المتحدة بشأن العراق إلى استعراض القوة من حين لآخر، فمنذ مقتل قائد فيلق القدس قاسم سليماني في العراق في أوائل عام 2020 ، شنت إيران هجوما على قاعدة "عين الأسد" في العراق التي تضم قوات أمريكية، وأسفر هجوم صاروخي مدعوم من إيران على معسكر "تاجي" عن مقتل جنديين أمريكيين ومسعف بريطاني يخدم التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" خلال مارس. وردا على ذلك ، قصفت طائرات أمريكية عدة مواقع بالقرب من بغداد حيث تنتشر قوات كتائب حزب الله الموالية لإيران.[18]

في الآونة الأخيرة ، دعمت الولايات المتحدة وإيران مرشحين مختلفين لمنصب رئيس الوزراء العراقي عقب انقضاء خمسة أشهر من الجمود السياسي لتعيين حكومة جديدة في بغداد. وفاز حليف واشنطن مصطفى كاظمي، والذي تولى في السابق منصب رئيس المخابرات العراقية، إلا أنه يلقى أيضا قبولا لدى طهران. وأعادت السعودية التركيز على العراق ، واصفة البلاد بـ "أقوى أركان العالم العربي" في محاولة لاحتواء

[16] "US-Iran Conflict and Implications for US Policy," Congressional Research Service, May 8, 2020, https://fas.org/sgp/crs/mideast/R45795.pdf.
[17] "US-Iran Conflict and Implications for US Policy."
[18] "US-Iran Conflict and Implications for US Policy."

النفوذ الإيراني من خلال إيفاد سفيرها إلى بغداد وإبرام اتفاق لتمكين الشركات السعودية من الاستثمار في حقول غاز "عكاظ".[19]

وفي اليمن، صارت الأولوية الرئيسية للسعودية هي مواجهة المصالح الإيرانية وإبعاد إيران قدر الإمكان عن التدخل في الصراع اليمني. تنشغل المملكة بالدرجة الأولى بحل خلافاتها مع الإمارات بشأن السيطرة على جنوب اليمن وتطوير القدرات المحدودة للحكومة اليمنية الشرعية المعترف بها دوليا بقيادة الرئيس عبد ربه منصور هادي والحفاظ على مستوى من الحوار مع الحوثيين المتضررين من الصعوبات الاقتصادية. كما دعمت الرياض واشنطن للحيلولة دون استغلال إيران للأزمة الإنسانية التي تعاني منها اليمن في ظل هذا الصراع لخدمة مصالحها في البلاد.[20] وفي الوقت نفسه سعت السعودية إلى كسب المجتمع الدولي أثناء محاولة حل الصراع اليمني فاعطت المملكة الأولوية لإرسال المساعدات إلى اليمن وتقديم المساعدات الإنسانية والطبية للبلاد في ظل جائحة كوفيد 19، وذلك رغم فشلها في جمع التمويلات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف.[21]

من جانبها، أكدت إيران نفوذها في اليمن من خلال دعم الحوثيين وتزويدهم بصواريخ متقدمة[22] وتقنية طائرات بدون طيار وأسلحة تسمح باستهداف دقيق لضرب أهداف محتملة داخل السعودية. وتهدف إيران إلى إيصال رسالة إلى المجتمع الدولي بأن حل النزاع اليمني يتطلب مساعدة إيران. وفي الواقع لا يسيطر الحوثيون على مساحة كبيرة من الأراضي في اليمن. ونتيجة لذلك فإن إيران ليست بأي حال من الأحوال لاعباً رئيسياً في اليمن في جميع الأوقات، على الرغم من أن دورها يبدو أنه لا غنى عنه في تعزيز مكاسب الحوثيين. ولا تتمتع طهران بنفوذ كامل على الجماعة التي تقود محادثات خاصة بها مع السعودية. علاوة على ذلك ، فإن إيران غير قادرة على التعامل مع الملف اليمني كأولوية بالنسبة لها في وقت كانت تواجه طهران معركة أكبر مع واشنطن حيث سعى الرئيس دونالد ترامب مع الكونجرس الأمريكي للاحتفاظ بالسلطة

[19] "Prince Khalid bin Salman Praises Iraq as one of the 'Strongest Pillars of the Arab World," Arab News, May 23, 2020, https://www.arabnews.com/node/1679071/saudi-arabia.
[20] "Yemen 2020: High-Level Pledging Event for the Humanitarian Crisis in Yemen," United Nations, https://www.unocha.org/yemen2020.
[21] "Yemen Aid Operations at Risk After Fundraiser Falls $1bn Short," BBC, June 3, 2020, https://www.bbc.com/news/world-middle-east-52903440.
[22] Shawn Snow, "Ship Seizures Included 'Relatively New' Iranian Surface to Air Missile Bound for Houthi Rebels in Yemen," Military Times, February 19, 2020, https://www.militarytimes.com/flashpoints/2020/02/19/ship-seizures-included-relatively-new-iranian-surfaceto-air-missile-bound-for-houthi-rebels-in-yemen/.

الرئاسية المتعلقة باتخاذ قرار الحرب ضد إيران.[23]

الخاتمة

تواصل طهران رفض خيار المحادثات مع الولايات المتحدة.[24] وتتوقع الولايات المتحدة تأييد أوروبا في الوقت الذي تسعى فيه إلى تمديد حظر الأسلحة المفروض على إيران، الأمر الذي سيؤدي بدوره إلى انهيار الاتفاق النووي الإيراني المُوقَّع عام 2015.[25] وفي الوقت نفسه ، تسعى واشنطن إلى إنهاء التنازلات التي قدمتها بشأن برنامج إيران النووي السلمي وتأمل أن تتحالف معها أوروبا لقيادة حملة لممارسة ضغوط قصوى على طهران.[26] ومع ضعف احتمالية إبرام اتفاق نووي معدل مع إيران تواجه إيران خيارات محدودة عندما يتعلق الأمر بعلاقاتها مع أوروبا والولايات المتحدة وحلفاؤهم العرب في منطقة الخليج.

ونتيجة لذلك ، يبدو أن كلاً من سياسة الضغط القصوى التي تقود الولايات المتحدة ممارستها ضد إيران وسياسة المقاومة القصوى في الرد تُشكلان من فرصًا ضئيلة من جانب إيران لفتح قنوات اتصال بين طهران والرياض في المستقبل. وأكدت الولايات المتحدة أنها لا تسعى إلى مزيد من التصعيد ، لكنها اتخذت إجراءات لإجبار طهران على التنحي عن مساعيها للتأثير على نتيجة الصراعات الإقليمية. وأيدت السعودية بشكل عام هذه الإجراءات ولا سيما وأن إيران تكثف جهودها لاستئناف برامجها النووية والأقمار الصناعية والصاروخية.[27] ونتيجة لذلك ، من المرجح أن تتوافق السياسة السعودية المتمثلة في تجاهل إيران في المنطقة بشكل أفضل مع جهود الولايات المتحدة لاحتواء القوة والنفوذ الإيراني . وتفضل المملكة التأثير على المسار الذي تتجه إليه التوترات بين الولايات المتحدة وإيران بما يخدم مصالحها بدلاً من استثمار مواردها بشكل مباشر لحل خلافاتها مع طهران فيما يتعلق بتعاملها مع الملفات الإقليمية.

---

[23] Charles Pierson, “Greenlighting War: Iran and Yemen,” Counterpunch, May 14, 2020, https://www.counterpunch.org/2020/05/14/greenlighting-war-iran-and-yemen/.

[24] “Mohammad Baqer Qalibaf’s Meaningful Reaction to New Trump Proposal for Talks and Agreement with Iran,” Khabaronline, June 5, 2020, https://www.khabaronline.ir/news/1396021/- ديدج - داهنشيپ - هب - فابيلاق - رادانعم - شنكاو قفاوت- و -هركاذم - يارب - پمارت

[25] Kelsey Davenport and Julia Masterson, “US Seeks Iran Arms Embargo Extension Riling Europe,” In Depth in News, May 15, 2020, https://www.indepthnews.net/index.php/the-world/usa-and-canada/3545-us-seeks-iranarms-embargo-extension-riling-europe.

[26] Nicole Gaouette, Jennifer Hansler, “US Ends Waivers for Iran’s Civil Nuclear Programs in Latest Maximum Pressure Campaign Move,” CNN, May 27, 2020, https://www.cnn.com/2020/05/27/politics/us-iran-nuclearwaivers/index.html.

[27] “US-Iran Conflict and Implications for US Policy.”

نحو إرساء السلام في العلاقات السعودية الإيرانية؟

روبرت مايسون

تتسم الأبحاث التي ناقشت السياسة السعودية والإيرانية وسياساتهما الخارجية وأمن الخليج بالكثرة والتنوع وتركز بشكل خاص على العلاقات السعودية الإيرانية بعد الثورة الإيرانية عام 1979.[1] تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على حقيقة دامغة مفادها أن إجراءات خفض التصعيد بين السعودية وإيران والتي تستهدف رأب الصدع فيما يتعلق بالصراع الجغرافي الطائفي تتطلب اتخاذ العديد من التدابير التي إذا تم تنفيذها يمكن أن تعيد توجيه كلتا الدولتين نحو إجراء محادثات أكثر استدامة وإيجابية. ترتكز هذه الإجراءات على محورين وهما الإسلام السياسي وإجراء حوار حول الأمن الإقليمي للمنطقة. مما يتطلب تغيير النهج الحالي الذي تتبعه قيادة الدولتين والعديد من القوى الإقليمية والخارجية الأخرى من أجل تحسين مواقفها مع مراعاة ضرورة تحسين المشهد الأمني الإقليمي والدولي إلى حدٍ بعيد.

تاريخ الخلاف

عقب الغزو العراقي لإيران في سبتمبر 1980 واندلاع الحرب الإيرانية العراقية ، أصبح من الواضح أن السعودية لن تصبح قادرة على ردع العدوان الإقليمي بمفردها، مما أدى إلى إنشاء مجلس التعاون الخليجي في مايو 1981. في غضون ذلك ، تأثرت إيران بشدة بالحرب الإيرانية العراقية وفقدان الثقة في الدول المجاورة الداعمة لصدام حسين (المتمثل في إرسال السعودية شحنات نفط للعراق). ومنذ ذلك الحين، تمكنت دول صغيرة مثل قطر وسلطة عُمان والكويت من محاولة تبني مسار سياسي مستقل بمنأى عن الانحياز

[1] See for example: Hinnebusch, R. and Ehteshami, A. (2002). The Foreign Policies of Middle East States. Boulder, CO: Lynne Rienner Publishers.; Ehteshami, A. (2008). Iran's Foreign Policy: From Khatami to Ahmadinejad. Reading: Ithaca Press.; Karasik et al. (2009). Saudi - Iranian Relations Since the Fall of Saddam: Rivalry, Cooperation, and Implications for U.S. Policy. Santa Monica, CA: RAND.; Hunter, S. (2010). Iran's Foreign Policy in the Post-Soviet Era. Westport, CT: Praeger.; Mason, R. (2014). Foreign Policy in Iran and Saudi Arabia: Economics and Diplomacy in the Middle East. London: I. B. Tauris.; Mabon, S. (2015). Saudi Arabia and Iran: Power and Rivalry in the Middle East. London: I. B. Tauris.; Patrick, N. (2016). Saudi Arabian Foreign Policy. London: I. B. Tauris.; Ulrichsen, K (Ed.). (2017). The Changing Security Dynamics of the Persian Gulf. Oxford: Oxford University Press.

لأية من هذه القوى المتنازعة. سياسات هذه الدول تعرضت لمعضلات أمنية معقدة ومطالب نموذج الدولة الريعية في إدارة الحكم وتحقيق توازن مع السعودية أو السعي إلى إقامة علاقات ثنائية استراتيجية مع قوى خارجية مثل الولايات المتحدة وحلفائها القادرين على توفير رأس المال البشري. زادت الانتفاضات العربية من حساسيات النظام السياسي والأمن القومي وفرص استعراض النفوذ، كما ضاعفت من زيادة حدة المخاطر التي قد تهدد المصالح السعودية والإيرانية في إطار رهان سياسي يُفضي إلى تحقيق معادلة ذات مُحصلة صفرية غير مجدية، بمنى آخر؛ لا ربح ولا خسارة لكلا الطرفين.

أنفقت دول مجلس التعاون الخليجي ما بين 95 إلى 128 مليار دولار لتعزيز قوتها العسكرية خلال 2017 مقابل 15 – 16 مليار دولار أنفقتها إيران[2] مما يكشف النقاب عن استعداد دول الخليج للاستثمار في شراء الأسلحة الأكثر تقدما والانخراط في سياساتها الخارجية لضمان مصالحهم الأساسية وليس بهدف المواجهة المباشرة للتهديدات الإيرانية. في هذه الأثناء ، حققت إيران تقدمًا هائلاً في مجال الصواريخ الباليستية والصواريخ الانسيابية "كروز" (بما في ذلك القدرات البحرية) وأنظمة الدفاع الجوي ونشر قوات غير متكافئة تهدد النقل البحري في الخليج والبحر الأحمر.[3] على الجانب الآخر، لا تزال القوة العسكرية الإيرانية الشيعية تستند إلى القوة البشرية واستخدام الميليشيات الزيدية في اليمن ولبنان وسوريا والعراق والتي تدعمها طهران بالتمويل والأسلحة والمتطوعين والتدريب.

تُلقي أيضا الخلافات الأمريكية / الغربية – الإيرانية بظلالها القاتمة على مسار العلاقات السعودية الإيرانية إذ تعود هذه الخلافات إلى الغزو الأنجلو–سوفيتي لإيران إبان الحرب العالمية الثانية عام 1941 والإطاحة برئيس الوزراء الإيراني محمد مصدق من قبل جهازي المخابرات المركزية الأمريكي "سي آي إي" والبريطاني "إم آي 6" Mi6 في عام 1953 فضلا عن أزمة رهائن السفارة الأمريكية في طهران (1979–1981) وإسقاط طائرة إيرانية من قبل الولايات المتحدة في عام 1988 والانتقال إلى عالم أحادي القطب في عام 1991 ، و سياسة "الاحتواء المزدوج" للولايات المتحدة تجاه إيران والعراق منذ عام 1994 ، وخطاب الرئيس بوش حول "محور الشر" في عام 2002، بالإضافة إلى التوترات المستمرة حول استراتيجية

[2] Cordesman, A. and Harrington, N. (2018). The Arab Gulf States and Iran: Military Spending, Modernization, and the Shifting Military Balance. Center for Strategic and International Studies. Washington D.C., Working Draft, p. 4, https://csis-prod.s3.amazonaws.com/s3fs-public/publication/181212_Iran_GCC_Balance.Report.pdf

[3] Ibid, 2.

الانتشار النووي لإيران والعقوبات الأمريكية ضدها. وأدى الغزو الذي قادته الولايات المتحدة ضد العراق عام 2003 إلى ظهور الميليشيات الشيعية التي تلقت دعماً من قبل القوات الأمريكية في بداية الحرب) إذ شغل بعض أعضاء الميليشيات الشيعية مناصب وزارية عراقية (لكنها عملت ضد قوات التحالف فيما بعد). على سبيل المثال ، نفذ جيش المهدي هجمات ضد القوات الأمريكية في مدينة النجف عام 2004.[4]

المصالح والإجراءات الأمريكية في الخليج ومنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

تستند المصالح الأمريكية في السعودية إلى اعتبار المملكة شريكًا رئيسيًا في الطاقة لعقود حتى 11 سبتمبر. وضعت "عقيدة كارتر" التي أعلنت عنها الولايات المتحدة في عام 1980 بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان المصالح الأمريكية على المحك بشكل مباشر حال وقوع أي تدخل أجنبي في الخليج. وعززت الولايات المتحدة وجودها بإرسال قوات أمريكية لانتشارها في السعودية منذ عام 1990 بعد غزو صدام حسين للكويت. تبع ذلك توقيع العديد من اتفاقيات التعاون الدفاعي ونشر المزيد من القوات عبر الخليج. لكن أصبح تمركز القوات الأمريكية في المملكة العربية السعودية نقطة خلاف رئيسية ومصدراً لإثارة العداء مع زعيم ومؤسس تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن في مستهل الألفية الجديدة، مما دفع التنظيم نحو شن هجمات على السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا في عام 1998 وعلى المدمرة الأمريكية "كول" في أكتوبر 2000 ، قبل أن يصبح بن لادن العقل المدبر لهجمات الحادي عشر من سبتمبر.

وعلى الرغم من قرار الرئيس أوباما بسحب القوات في أفغانستان والعراق خلال فترة إدارته ، إلا أننا لم نشهد دعمًا أمريكيًا واضحًا لإرساء وترسيخ السلام والاستقرار في الخليج ، ولا تزال ثمة مخاوف إيرانية من محاصرتها من قبل الولايات المتحدة. فالمصالح المشتركة بين الولايات المتحدة والخليج العربي في وجه إيران وضعف قدرات الدفاع المشتركة لدول الخليج فضلا عن خفض مستويات الثقة بين دول الجوار كلها عوامل عززت التواجد العسكري الأمريكي في الخليج. فشل الرئيس ترامب في التوصل إلى حلول دبلوماسية خاصة خلال "أزمة قطر" منذ يونيو 2017) وسط إقالته لريكس تيلرسون ، وزير الخارجية آنذاك ، الذي

[4] Mapping Militant Organizations. (2019) Mahdi Army. Stanford University. http://web.stanford.edu/group/mappingmilitants/cgi-bin/groups/view/57

كان يبحث عن حلول لهذه الأزمة[5] (وحاولت كلٌ من السعودية والإمارات والبحرين ومصر حصار قطر وإجبارها على الخضوع إلا أنه بدلاً من ذلك قدمت تركيا المساعدة لقطر. وانسحب ترامب أيضا من الاتفاق النووي مع إيران في 18 مايو 2018 وسعى لمواجهة إيران من خلال إنشاء تحالف إستراتيجي للشرق الأوسط (ميسا) أوما يطلق عليه "الناتو العربي".[6] وإذا تم التعامل مع هذا التحالف بشكل مختلف، كان من الممكن أن تكون اشبه بمنظمة الأمن والتعاون في الخليج أو الشرق الأوسط الأوسع. بدلاً من ذلك، أصبح التحالف جزءًا من استراتيجية الرئيس ترامب المتمثلة في "الضغط القصوى" على إيران بالتزامن مع سلسلة من التصريحات النارية التي أدلى بها الرئيس ترامب ومستشاره للأمن القومي آنذاك جون بولتون.

أعقب ذلك سلسلة من العمليات التخريبية التي نفذتها إيران إذ تم استهداف منشآتين نفطيتين سعوديتين رئيسيتين في بقيق وخريص في 14 سبتمبر 2019 ، ولم يتم التوصل إلى الجهة المسئولة عن الهجوم. وكانت الهجمات بمثابة صدمة للسعوديين الذين أنفقوا المليارات على الأسلحة والدفاع الجوي مما دفع الولايات المتحدة إلى تنفيذ عقوبات جديدة ضد المسؤولين الإيرانيين وزيادة تقليص صادرات النفط الإيرانية وتصنيف الحرس الثوري الإيراني على أنه جماعة إرهابية، إلا أنها لم تواجه الهجمات بالرد العسكري. لذا سعى ولي العهد السعودي محمد بن سلمان للبحث عن وسطاء مع إيران عبر العراق وباكستان اللتين كانتا تدعمان الجهود الدبلوماسية.[7] وفي أكتوبر 2019 أمر الرئيس ترامب بإرسال القوات والأسلحة إلى المملكة العربية السعودية لردع إيران.[8] وبحلول ديسمبر 2019 تصاعدت الاحتجاجات في العاصمة العراقية بغداد ضد القوات الأمريكية واقتحم بعض المتظاهرين مجمع السفارة الأمريكية هناك، مما دفع الرئيس ترامب إلى إعطاء أوامر باغتيال اللواء قاسم سليماني في الحرس الثوري الإيراني في العراق في 3 يناير 2020. وفي

[5] Emmons, A. (2018). Saudi Arabia Planned to Invade Qatar Last Summer. Rex Tillerson's Efforts to Stop it May Have Cost Him His Job. The Intercept, August 1, 2018. https://theintercept.com/2018/08/01/rex-tillersonqatar-saudi-uae/

[6] Kalin, S. and Landay, J. (2019). Exclusive: Egypt Withdraws from US-led anti-Iran Security Initiative – Sources. Reuters, April 11, 2019. https://www.reuters.com/article/us-usa-mesa-egypt-exclusive/exclusive-egyptwithdraws-from-us-led-anti-iran-security-initiative-sources-idUSKCN1RM2WU

[7] Fassihi, F. and Hubbard, B. (2019). Saudi Arabia and Iran Make Quiet Openings to Head Off War. The New York Times, October 4, 2019. https://www.nytimes.com/2019/10/04/world/middleeast/saudi-arabia-irantalks.html

[8] Schmitt, E. and Sanger, D. (2019). Trump Orders Troops and Weapons to Saudi Arabia in Message of Deterrence to Iran. The New York Times, October 11, 2019. https://www.nytimes.com/2019/10/11/world/middleeast/trump-saudi-arabia-iran-troops.html

8 يناير 2020 ، هاجمت إيران قاعدة "عين الأسد" الجوية في العراق مما تسبب في إصابات دماغية بين الجنود الأمريكيين.[9] كما أسقط الحرس الثوري الإيراني بطريق الخطأ طائرة ركاب أوكرانية في يناير 2020. صعدت الحكومة الإيرانية منذ ذلك الحين من لهجة خطابها لقمع وردع أعمال المنشقين.[10]

انتصار الدبلوماسية

في وقت مبكر من عام 1991 ، سافر وزير الخارجية الإيراني علي أكبر ولايتي إلى المملكة العربية السعودية لاقتراح تحالف إيراني – خليجي من أجل الأمن في الخليج. كما تم التوصل إلى حلول بشأن مقاطعة حج الإيرانيين للسعودية وإعادة العلاقات الدبلوماسية بعد مواجهة مع قوات الأمن السعودية عام 1987 خلفت 400 قتيل من الحجاج الشيعة. وفي منتصف وأواخر التسعينيات ناقشت السعودية وإيران تعزيز أواصر التعاون بين البلدين خلال رئاستي أكبر هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي. واتفق الطرفان على مجموعة من الإجراءات السياسية والاقتصادية والأمنية وبرامج التبادل. على سبيل المثال ، يشمل الاتفاق إصدار السعودية لبعض الوقت تصاريح عمل للإيرانيين لتأسيس شركات الاستثمار والعيش بسلام في المملكة. واستضاف ولي العهد آنذاك الأمير عبدالله بن عبدالعزيز خاتمي في عام 1999 ، وهي أول زيارة يقوم بها رئيس إيراني للسعودية منذ ثورة 1979[11] توضح هذه التطورات كيف يمكن للتغييرات الصغيرة أن تحسن آفاق العلاقات الثنائية البناءة في المستقبل. كما لا يمكن الاستهانة بالقيادة والرؤية السياسية كعامل هيكلي مهم له تداعيات ملموسة على السلام والتنمية. ولا يمكن الاستهانة أيضا بمدى تأثير تراجع الشعور بالتهديد وكذلك انخفاض الطلب أوالتراجع الشديد في أسعار النفط في أواخر التسعينيات والذي انعكس بدوره على تعزيز التعاون بين البلدين لخفض إنتاج النفط وزيادة الأسعار في عام 1998.

[9] Guardian Staff and Agencies in Washington. (2020). More Than 100 US Troops Suffered Traumatic Brain Injury in Iran Strike, Military Says. The Guardian, February 10, 2020. https://www.theguardian.com/usnews/2020/feb/10/us-troops-brain-injury-iran-strike-military-to-report

[10] Siamdoust, N. (2020). Silence Falls on Iran's Protest Movement. Foreign Affairs, January 6, 2020. https://www.foreignaffairs.com/articles/iraq/2020-01-06/silence-falls-irans-protest-movement; Reuters. (2020). Opposition Website Says at Least 631 Killed in Iran Unrest. Reuters, January 2, 2020. https://www.reuters.com/article/us-iran-protests-toll/opposition-website-says-at-least-631-killed-in-iran-unrestidUSKBN1Z1152

[11] Jehl, D. (1999). On Trip to Mend Ties, Iran's President Meets Saudi Prince. The New York Times, May 17, 1999. https://www.nytimes.com/1999/05/17/world/on-trip-to-mend-ties-iran-s-president-meets-saudiprince.html

ويمكن اعتبار هذه الفترة بمثابة حقبة ذهبية في تاريخ العلاقات السعودية الإيرانية، وقد دعمها كسر حالة الجمود في العلاقات الإيرانية مع الأوروبيين. وكان من الممكن أن تستمر لفترة أطول لو لم يشجع آية الله خامنئي المتشددين الايديولوجيين في إيران على عرقلة التقدم الاقتصادي والسياسي الذي أحرزه خاتمي، مما أدى إلى انتخاب الرئيس محمود أحمدي نجاد في عام 2005 ، تلاه استئناف سريع لتخصيب اليورانيوم. لكن حتى هذا الأمر لم يكن كافيًا لإعاقة التعاون بشكل كامل بين الجانبين إذ تعاون أحمدي نجاد مع السعوديين في عام 2007 لتهدئة التوترات في لبنان (على الرغم من أن التنافس الإقليمي أصبح أكثر وضوحًا خلال السنوات التالية) ، وهو ما يتناقض مع احتجاز رئيس الوزراء سعد الحريري لفترة وجيزة في الرياض بعد عِقد من الزمان. وكانت تمثل القوى الاجتماعية في السعودية أيضًا إشكالية ولا سيما في ظل انتشار النظرة الوهابية التي تضفي شرعية على الأجندة المعادية للشيعة وفي ظل انتشار كراهية الأجانب على نطاق أوسع من خلال بعض الكتب المدرسية السعودية[12] والدعم الاجتماعي الذي وُصف بأنه محدود ولكنه ذو أثر ملموس بالنسبة لتنظيم لقاعدة والدولة الإسلامية وتنظيمات إسلامية سُنية أخرى محظورة.[13] كما لعبت قضايا إقليمية أخرى في تأجيج الخلافات. ومثل صدام حسين عقبة أمام تأسيس نهج أمني شامل للمنطقة. كما واصلت إيران التعامل مع الميليشيات بدلاً من الحكومات والمنظمات الرسمية، لتقدم دليلا آخر على إتباع حسابات صفرية غير مجدية كما بدا جلياً في ملفات العراق وسوريا ولبنان وغيرها.

وثمة أدلة تشير إلى أن العلاقات بين الولايات المتحدة وإيران قد تتخذ بل وربما اتخذت بالفعل مسار الدبلوماسية البراجماتية التي تستند إلى اعتبارات عملية وواقعية بحتة بغض النظر عن المفاهيم الأيديولوجية. كانت اتفاقية بون 2001 أحد الأمثلة على هذا المسار البراجماتي في العلاقات حيث مارست إيران ضغوطاً على التحالف الشمالي في أفغانستان لقبول عدد أقل من الوزارات في الحكومة لإتمام الاتفاقية. ومع ذلك تم تقويض المزيد من التعاون بسبب خطاب الرئيس جورج دبليو بوش حول "محور الشر" والذي وصفه بعض الإيرانيين بأنه يماثل الخطاب الطائفي. وكان هناك أيضًا بعض التعاون الأمريكي الإيراني المحدود في العراق بعد إسقاط صدام حسين. لكن هذا التعاون واجه عدة تعقيدات ليس بسبب

[12] Dozier, K. (2020). Saudi Arabia Rebuffs Trump Administration's Requests to Stop Teaching Hate Speech in Schools. Time, February 10, 2020. https://time.com/5780130/saudi-arabia-hate-speech-schools/?xid=tcoshare
[13] Black, I. (2016). Saudi Arabia and ISIS: Riyadh Keen to Show its is Tackling Terror Threat. The Guardian, January 21, 2016. https://www.theguardian.com/world/2016/jan/21/saudi-arabia-isis-riyadh-terror-threat

السياسة الأمريكية فحسب بل بسبب الانتفاضات العربية التي حرضت إيران وتركيا وقطر ضد السعودية والإمارات ومصر والبحرين بسبب دعمها للإسلام السياسي في الدول التي تخوض مرحلة انتقالية سياسية. وليس من المستغرب أن تتصدر التوترات الطائفية وأشكال الطائفية الداخلية والخارجية المسببة للمزيد من الانقسام والحشد المجتمعي والسياسي اهتمامات ومخاوف النُخبة السياسية.

وبالنظر إلى دول الخليج الأصغر، لعبت سلطنة عمان دورًا رئيسيًا في الدبلوماسية الأمريكية الإيرانية في الفترة التي سبقت الاتفاق النووي مع إيران بينما اتبعت قطر سياسات عملية في تعاملاتها مع إيران، ويعزو ذلك جزئيًا إلى قربها الجغرافي ومواردها الطبيعية المشتركة في جنوب بارس / القبة الشمالية أو بما يسمى حقل غاز الشمال. وحتى الإمارات العربية المتحدة، والتي كانت جنبًا إلى جنب مع المملكة العربية السعودية خلال العمليات العسكرية في اليمن ، تحركت بسرعة لتهدئة التوترات مع إيران. وفي 12 مايو 2019 تعرضت ناقلات نفط قبالة الساحل الإماراتي لهجمات تخريبية.[14] وبحلول منتصف يونيو، أُستهدفت ناقلات النفط في مضيق هرمز[15]، وفي 21 يونيو 2019 تم إسقاط طائرة أمريكية بدون طيار.[16]

رغم هذا، فبحلول يوليو 2019 ، التقى مسئولون إماراتيون وإيرانيون في طهران لمناقشة سبل حماية الأمن الملاحي.[17] كما سافر وزيرا خارجية قطر وسلطنة عمان إلى إيران. وفي أكتوبر 2019 ، زار طحنون بن زايد، مستشار الأمن القومي الإماراتي وشقيق ولي العهد الشيخ محمد بن زايد، بزيارة إلى طهران ولم يُكشف عن تفاصيل هذه الزيارة. وفي مارس 2020 تناقلت وسائل إعلام أجنبية خبراً يفيد بأن الإمارات قدمت طائرة مستأجرة لفريق منظمة الصحة العالمية (WHO) ومستلزمات طبية للسفر إلى إيران للتعامل مع كوفيد 19 (شكل مستجد من فيروس كورونا تم اكتشافه لأول مرة في مقاطعة هوبي ، الصين، أواخر

[14] Ibish, H. (2019). Gulf Arabs Caught between US "Fire and Fury" and Iranian "Strategic Recklessness". The Arab Gulf States Institute in Washington, May 21, 2019. https://agsiw.org/gulf-arabs-caught-between-u-s-fireand-fury-and-iranian-strategic-recklessness/

[15] Gambrell, J. (2019). Tankers Struck Near Strait of Hormuz; US Blames Iran. AP News, June 14, 2019. https://apnews.com/d67714ab8ac344a3b3af19cca1c20192

[16] Berlinger, J. et al. (2019). Iran Shoots Down US Drone Aircraft, Raising Tensions Further in Strait of Hormuz. CNN, June 21, 2019. https://edition.cnn.com/2019/06/20/middleeast/iran-drone-claim-hnkintl/index.html

[17] Vahdat, A. and Batrawy, A. (2019). UAE and Iran Hold Rare Talks in Tehran on Maritime Security. AP News, July 31, 2019. https://apnews.com/49c6da1c33fd45bbaf1b14836ee5e2ec

عام 2019).[18]

ومن الواضح أن ثمة هدف منطقي لإعادة إشراك إيران في الحوار والدبلوماسية والمفاوضات الجديدة. فبصرف النظر عن الاتصال غير المباشر عبر باكستان والعراق ، فإن أي حوار مباشر يبدو حلماً بعيد المنال في الوقت الراهن على الأقل. في عام 2018 تحدث صاحب السمو الملكي محمد بن سلمان عن 'تحركات سياسية وتحركات اقتصادية وتحركات استخباراتية' لوقف المرشد الأعلى آية الله خامنئي ، الذي وصفه ب"هتلر" وأنه "يحاول غزو العالم".[19] ومن الجدير بالذكر أنه لم تحظ الدبلوماسية لم بمزيد من الاهتمام. ومع ذلك ، فإن دول مجلس التعاون الخليجي لديها العديد من المصالح المماثلة لإيران عبر مجموعة من القضايا يأتي في مقدمة أولوياتها الأمن القومي والإقليمي لا سيما خلال فترة تصوُّر التهديد الشديد الذي يصل إلى حد الصراع. ومع استمرار دول الخليج نحو العولمة والبحث عن حلفاء ومستثمرين جدد لدعم الأمن القومي وخطط التنويع، يعد إرساء ونشر السلام في المنطقة شرطًا أساسيًا ذو أهمية كبرى. ويمكن أن يمثل التأثير الدولي خلال معرض إكسبو الدولي 2020 والذي سوف تستضيفه دبي في أكتوبر من العام القادم) بعد تأجيله بسبب وباء كوفيد وبفضل استضافة السعودية لقمة مجموعة العشرين محفزاً نحو تغيير السياسة الحالية.

"الحلزون المزدوج" لبناء السلام

يرتكز بناء السلام على مبادرتين أطلق عليهما "الحلزون المزدوج" بسبب السمات المكونة لهما وآفاق التأثير. وتعتمد كل مبادرة على ما هو راسخ في الهوية الوطنية للدول المعنية وكذلك لديها القدرة على تحويل السياسات السامة إلى نتائج إيجابية من خلال آليات التعزيز المتبادل. كما أنها أساسية لتحديد معضلات الأمن الإقليمي.[20] ورغم أن كل مبادرة لن تصبح فعالة بمستوى الفاعلية والتأثير لما يمكن أن يعزز المبادرتان بشكل الهيئة السياسية للجهات الحكومية المشاركة بمرور الوقت. بدأ السلام الديمقراطي

[18] Al-Monitor. (2020). Week in Review. Al-Monitor, March 6, 2020. https://www.almonitor.com/pulse/originals/2020/03/uae-stake-claim-regional-leadership-coronavirus-nuclear.html

[19] Goldberg, J. (2018). Saudi Crown Prince: Iran Supreme Leader 'Makes Hitler Look Good. The Atlantic, April 2, 2018. https://www.theatlantic.com/international/archive/2018/04/mohammed-bin-salman-iran-israel/557036/

[20] See Buzan, B. (2003). Regional Security Complex Theory in the Post-Cold War World. In F. Soderbaum and T. M. Shaw, Theories of New Regionalism. New York: Palgrave. pp. 140-159.

الذي يتمثل في تردد الدول الديمقراطية في خوض صراع مسلح مع الديمقراطيات الأخرى إلا أنها تطرح نهجا واقعيا ومحدّدا وقابلا للقياس بل ويمكن تحقيقه بشكل ملائم ومحدد زمنيا.

الحلزون الأول

الدول المستهدفة: إيران وتركيا وقطر والسعودية والإمارات ومصر.

الهدف الوحيد هو معالجة الإسلام السياسي كقضية تعرضت للانقسام في السياسة الإقليمية.[21] وسوف يستغرق شوطًا طويلاً في تقويض الخطابات المتنافسة ومعالجة منابع وجذور التوتر السياسي كما يتضح من "أزمة قطر" التي قسمت مجلس التعاون الخليجي وخلقت توترات مع تركيا. إن معالجة النقاط المتعلقة بالإسلام السياسي من شأنها تحقيق مزيد من الاستقرار للنظام الإقليمي الحالي من خلال تحديث بعض المكونات الدينية التي أصبحت تسيطر عليها الثقافة أكثر من الدين وكذلك تأسيس نهج معياري معدل. وسوف يركز العمل على التسامح وبمرور الوقت على التوفيق بين الهويات المتنوعة والمتنافسة وكذلك على اتخاذ إجراءات ملموسة (في إطار زمني واضح يشمل اللجوء إلى التحكيم). وبذلك تشمل الخطوات التالي:

i. معالجة دور الإعلام في إثارة العنف الطائفي[22]
ii. تحديد الأساليب المتبعة لتحويل الخطاب القومي المتشدد نحو هوية وطنية مدنية مع قبول التعايش مع الأحداث السلبية الماضية وتحقيق التوازن والتوافق المنشود.
iii. الابتعاد عن الإسلام كالمصدر الوحيد للشرعية السياسية
iv. الاتجاه نحو عناصر أخرى من الحكم كتلك التي تدعم التسامح العرقي الطائفي ومن بينها احترام حقوق الإقليات ومستوى أعلى من إضفاء الطابع المؤسسي للدولة وتشجيع الشركاء الثقافيين ذوي التأثير الإيجابي.[23]

[21] These issues are drawn from a conversation with a former Iranian diplomat, April 2019.
[22] See Watkins, J. (2019). Satellite Sectarianisation or Plain Old Partisanship. LSE Middle East Centre, April 2019. http://eprints.lse.ac.uk/100536/1/Watkins_J_Satellite_Sectarianisation_Author_2019.pdf
[23] Melani Cammett states that '"cultural entrepreneurs" deploy language, symbols, and appeals rooted in the history or doctrine of a particular ethnic or religious community as they engage in struggles over power, consciously playing upon these identities to shore up their own support', 'Lebanon, the Sectarian Identity Test Lab', The Century Foundation, 10 April 2019, https://tcf.org/content/report/lebanon-sectarian-identity-testlab/?hootPostID=ca8849c846f66b03eb4484dfae2449c0&agreed=1&agreed=1

ومن المحتمل أن تستمر الصراعات وأشكال العنف طالما استمر الإسلام السياسي في لعب دور حصري في سياسة العديد من الدول كأساس للحصول على النفوذ الإقليمي وكذلك تشكيل التحالفات أو التخارج منها.

الحلزون الثاني

الدول المستهدفة: إيران، ودل مجلس التعاون الخليجي، ودول إقليمية أخرى سيتم الإعلان عنها

الهدف من هذا الحلزون هو إنشاء منظمة على غِرار منظمة التعاون والأمن في أوروبا وذلك بغرض نزع فتيل التوترات المحورية في مجال الأمن والساسية. وبينما تشمل القائمة بعض الدول التي من المُناط بها رسم وربما إعادة رسم النظام الإقليمي في خلاف مع بعضها البعض إلا أنها تضم أيضا بعض الدول الأخرى الفاعلة. يمكن الاعتماد على هذه الفئة الأخيرة كمصدر للقوة الإقليمية والشرعية وأيضا للمضي قُدماً في مساعي التهدئة. من بين أهداف المنظمة معالجة المصادر المستمرة لغياب الأمن ومن بينها الضعف العسكري والحصار العسكري. ويمكن للمنظمة أيضا معالجة الأمور المتعلقة بالتحالف الضمني كذلك بين إيران وحزب الله، والتركيز على "معضلة الأمن". ويمكن أيضا للمنظمة إنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل في منطقة الخليج ودعم جهود مكافحة الإرهاب والنظر في القضايا الأمنية المتعلقة بالخلافات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ويمكن من خلال المنظمة الحصول على ضمانات من قبل الدول الخارجية والإقليمية أو عبر ميثاق أساسي ضمن خطوات يمكن أن تساعد في حل القضايا ذات الاهتمام المشترك ومن بينها حل النزاع وإعادة بناء الدولة بدءا من اليمن والعراق

الخاتمة

يتطلب تحقيق إنجاز ملموس على أرض الواقع ضرورة اعتدال السياسات المتبعة أو إجراء تعديل جوهري لسياسات الدول بشكل عام والسعودية وإيران بشكل خاص. في الحقيقة يبدو أننا نسير في الاتجاه الخاطئ. أولا تم اختزال المدة الزمنية التي يمكن لإيران أن تحصل بموجبها على درجة عالية من اليورانيوم المخصب (حُددت المدة بسنة واحدة بموجب بنود اتفاق إيران النووي) كما أن طموحات إيران النووية يشوبها الغموض والضبابية. وسوف يتم عقد الجولة الثانية من الانتخابات التشريعية في إيران في السابع من إبريل 2020 بالإضافة إلى تحول إيران إلى بؤرة لانتشار وباء كوفيد، مما يجعل الظروف السياسية والاجتماعية لعقد

مفاوضات في إيران غير ملائمة. ثانياً، في الأول من مارس 2020 يبدو أن ولي العهد الأمير محمد بن سلمان دخل في موجة جديدة من تصفية الحسابات السياسية لتوطيد أركان الحُكم والنفوذ بالمملكة عقب اعتقال ثلاثة من الأمراء من بينهم محمد بن نايف، نجل عمه وولي العهد السابق.[24] ثالثا، يمكن للانتخابات الأمريكية أن توفر مزيدا من الفرص لتعزيز أمن الخليج بدلاً من خلق انشقاقات وفق ما تقوم به إدارة ترامب. ورغم ذلك يجب ألا يمنع أي سيناريو قادم من الحوار الذي يمكن أن يؤدي إلى فتح قنوات للتفاهم والتعاطف والتعاون. وتبدو محاولات السعي إلى الاستفادة من التعاون أكثر إقناعا في فترة مضطربة تشهد عقوبات مفروضة على إيران والسعي للتنوع الاقتصادي في دول الخليج وتأثيرات وباء كوفيد 19 . وينبغي أن تتجه أنظار صُناع السلام نحو الخطوات السابقة التي اتخذتها السعودية وما أقدمت عليه الإمارات من تقديم نموذج براجماتي من خلال تبني خطوات عملية بسيطة تهدف لرأب الصدع مع إيران وكلها عوامل تؤكد أنه ليس من المستحيل فتح قنوات اتصال جديدة وإفساح المجال أمام المساعي الحميدة والجهود الدبلوماسية.

[24] BBC News. (2020). Saudi Arabia Detains Three Senior Members of Royal Family. BBC News, March 7, 2020. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-51778781

منظمة الأوبك، هل يمكن لها أن تعلب دوراً في نزع فتيل التوتر في المنطقة؟

سوكرو جيلدر

إن منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) هي منظمة دولية تم تأسيسها من قبل السعودية وإيران والعراق والكويت وفنزويلا أثناء مؤتمر بغداد في 10–14 سبتمبر 1960. ويمثل هدفها الأساسي في تنسيق وتوحيد السياسات البترولية للدول الأعضاء، وضمان استقرار أسواق النفط من أجل تأمين إمدادات فعالة واقتصادية ومنتظمة من النفط للمستهلكين، وتحقيق دخل ثابت للمنتجين وعادل بالنسبة إلى العائد على رأس المال لأولئك الذين يستثمرون في صناعة البترول".[1] ووفق هذه الأهداف الأساسية يمكن اعتبار الأوبك وسيلة لدعم التعاون والتضامن بين الدول الأعضاء، لكن من الصعب أن تمارس المنظمة دوراً في تخفيف حدة التنافس السعودي الإيراني إلا خلال فترة التقارب بينهما في التسعينيات. وفي هذا السياق، من الممكن تحديد أربعة معايير تحول دون قدرة منظمة أوبك على تخفيف حدة الصراع.

2018	السعودية	إيران	أوبك	العالم
احتياطيات النفط (مليار برميل في اليوم)	297.7	155.6	1242.2	1729.7
نسبة الاحتياطي من النسبة الإجمالي العالمي	17.2%	9%	71.8%	100%
إنتاج البترول (ألف برميل في اليوم)	12.287	4,715	39,338	9,4718
نسبة الإنتاج من النسبة الإجمالية العالمية	13%	5%	41.5%	100%
تصدير النفط الخام (برميل في اليوم)	7,371.5	1,849.6	24,669.9	45,809.6
نسبة التصدير من النسبة الإجمالية العالمية	16%	4%	53.9%	100%
تصدير منتجات البترول (ألف برميل في اليوم)	1,971.2	272.1	4,707.7	31,186
نسبة التصدير من النسبة الإجمالية العالمية	6.3%	0.9%	15.1%	100%

الجدول رقم واحد: قدرات الإنتاج بين السعودية وإيران وأوبك. المصدر هو

BP Statistical Review of World Energy 2019, OPEC Statistical Bulletin, 2019

[1] Brief History, OPEC, https://www.opec.org/opec_web/en/about_us/24.htm

أولا، تتبنى كلُ من السعودية وإيران نهجاً مغايراً في تحديد أسعار النفط. نظرًا لأن السعودية لديها تعداد سكاني ضئيل نسبيًا واحتياطيات نفطية هائلة وقدرة إنتاجية عالية واحتياطيات ضخمة من رأس المال وعلاقة طيبة مع الدول الغربية على الأقل مقارنة مع إيران فهي تدعم عمومًا أسعار النفط المنخفضة التي تسعى من خلالها إلى تعزيز مصالحها في سوق الطاقة العالمي. وتعتقد الرياض أن مكاسبها على المدى الطويل يمكن أن تصبح مستدامة إذا حافظت على حصتها في السوق العالمي من خلال إغراق السوق بالنفط السعودي منخفض التكلفة وكبح جماح المنافسة مع المنتجين الآخرين. كما يمكن أيضا منع البحث واستكشاف مصادر للطاقة البديلة عن طريق الحفاظ على أسعار النفط منخفضة، مما يعزز مصالح المملكة على المدى الطويل من خلال الحفاظ على الاعتماد العالمي على استهلاك النفط. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى حقيقة أن تقويض الاقتصادات الغربية برفع أسعار النفط ليس خيارا منطقيا للرياض بسبب شراكتها الأمنية التي استمرت لعقود مع الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى.[2]

على عكس السعودية، تمتلك إيران تعداد سكاني أضخم واحتياطيات نفطية أُقل وطاقة إنتاجية ضعيفة واحتياطيات رأسمالية ضعيفة وعلاقة متوترة مع الغرب، ولهذا السبب تحتاج طهران إلى أكبر قدر ممكن من عائدات النفط على المدى القصير وبالتالي تدعم أسعار النفط المرتفعة. وتم استنفاد عائدات النفط الإيراني والمدخرات الوطنية بسبب الحرب التي استمرت عقدًا من الزمان والصراعات وبسبب العقوبات الأمريكية.[3] وبالنظر بشكل خاص إلى مشاكلها الاقتصادية الهيكلية الناجمة عن الديون الحكومية الهائلة والاختلالات المالية والاستثمارات المحلية والأجنبية غير الكافية وكذلك الحاجة إلى تنشيط حقول النفط غير المنتجة بأحدث التقنيات ورأس المال الكافي، فإن إيران بحاجة ماسة إلى عائدات النفط أكثر من احتياج السعودية.[4]

ثانيًا، تتمتع السعودية بشكل من أشكال الهيمنة على منظمة "أوبك"، بمعنى أن ما يقرب من ثلث احتياطيات أوبك من النفط والإنتاج والتصدير تخضع لسيطرة السعودية فقط والباقي يتم تقاسمها بين الأعضاء الاثني عشر الآخرين ما هو موضح في الجدول رقم واحد، مما يمهد الطريق لعلاقة غير متكافئة بين الدول

[2] Chubin, S. and Tripp, C. (1996). Iran-Saudi relations. ADELPHI Series, Oxford University Press. pp. 66-69
[3] BBC News. (2019). Six charts that show how hard US sanctions have hit Iran. BBC News, December 9, 2019. https://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-48119109 (accessed on April 11, 2020).
[4] Chubin, S. and Tripp, C. (1996). Iran-Saudi relations. ADELPHI Series, Oxford University Press. pp. 66-69.

الأعضاء في منظمة أوبك لصالح السعودية.[5] ونظرًا لأن المملكة ظلت منتجًا مسيطرا في أوبك بعد حدوث شبه توقف لصناعة النفط الإيرانية في فترة ما بعد عام 1979، فإن القرارات التي تحدد أسعار النفط وحصص الإنتاج في هذه المنظمة تخضع لسيطرة وهيمنة السعودية.

ثالثًا، أوبك هي منظمة دولية تتألف من دول لديها مجموعة متنوعة ومتضاربة من المصالح السياسية والاقتصادية. وكما لاحظ كلايس، فإن التركيز فقط على نظرية "المنطق الاقتصادي" غير كاف لتفسير صناعة النفط العالمية لأن "منطق الدول يختلف عن منطق الشركات".[6] فالدول عادة ما تميل عمومًا إلى إعطاء الأولوية للمسائل الأمنية.[7] لذا، فإن قرارات "أوبك" تخضع لتأثير المصالح السياسية للأعضاء الأفراد. وعندما تم توطيد العلاقات السعودية الإيرانية غالبًا ما كان يُنظر إلى النفط على أنه نقطة قوة لاغتنام ميزة سياسية ضد بعضهما البعض.

رابعًا، أصبح النفط سلعة استراتيجية دولية، خاصة منذ منتصف الستينيات حيث أصبح الاقتصاد العالمي والأمن والحياة الاجتماعية يعتمدون إلى حد كبير على استهلاك النفط. لذلك أصبح التدفق الحر للنفط – بسعر معقول –شرطًا لا غنى عنه لاستمرار النظام الدولي المعاصر الذي أرست قواعده الولايات المتحدة الأمريكية.[8] هذه الظروف خلقت بُعدًا دوليًا لفهم دور النفط والأوبك في العلاقات السعودية الإيرانية والتأثير الأمريكي على سوق الطاقة العالمية.

على الرغم من المعايير الدولية والمحلية التي تعيق جهود "أوبك" لتعزيز التعاون السعودي الإيراني، إلا أن أوبك توفر مساحة لكلا الطرفين من خلال حصولهما على المعلومات الضرورية حول تفضيلات الآخرين والتفاوض على مصالحهم المتباينة، وهذا يخلق فرصة لكلا الدولتين لتخفيف التوترات بينهما.[9] وفيما يتعلق بالعلاقات السعودية الإيرانية في فترة ما بعد ثورة 1979، حضر كلا الطرفين اجتماعات منتظمة في أوبك واتخذا قرارات مهمة بشأن سوق النفط العالمي. وعلى الجانب الآخر، فإن مجموعة من

[5] Shaffer, B. (2011). Energy Politics. Philadelphia: University of Pennsylvania Press. pp. 155.
[6] Claes, D. (2001). The Politics of Oil-Producer Cooperation. Oxford and Colorado: Westview Press. pp. 2.
[7] Ibid.
[8] 8 Stokes, D. and Raphael, S. (2010). Global Energy and American Hegemony. Baltimore: The John Hopkins University Press. pp. 18-23.; Bromley, S. (1991). American hegemony and world oil: The industry, the state system, and the world economy. Cambridge: Polity Press. pp. 48
[9] Keohane, R. (1989). International Institutions and State Power: Essays in International Relations Theory. Boulder: Westview Press. pp. 111.

العوامل المحلية والدولية التي تشكل النشاط السعودية والإيراني تلقي بظلالها أيضًا على قرارات وتوجهات المنظمة.

على سبيل المثال، في خِضم الحرب الإيرانية العراقية التي تصاعدت فيها حدة العداء السعودي الإيراني بسبب دعم الرياض الواضح لبغداد ، واصلت المملكة العربية السعودية وإيران عقد الاجتماعات السنوية المنتظمة في أوبك واتفقا على أسعار وحجم إنتاج النفط. وفي اجتماع استثنائي لأوبك في مارس 1982 ، حدد أعضاء المنظمة سعر النفط عند 34 دولارًا للبرميل والحصة الإجمالية عند 18 مليون برميل يوميًا. وبينما لم يتم منح السعودية حصة محددة للإنتاج باعتبار دورها كمنتج مكمل، تم تخصيص حصة إنتاجية لإيران تبلغ 1.2 مليون برميل في اليوم فقط، وهي نسبة منخفضة للغاية لدولة كان مستوى إنتاجها عند حوالي 6 مليون برميل في اليوم في منتصف السبعينيات. على الرغم من حصولها على حصة مزدوجة في اجتماع أوبك في مارس 1983 من خلال المفاوضات بين إيران والسعودية، ظلت توقعات خفض التصعيد على نطاق أوسع محدودة.[10]

ومع ذلك، إبان عِقد التسعينيات عندما شهدت العلاقات السعودية الإيرانية تقاربًا، برزت أوبك كمؤسسة من شأنها أن تسهم في تحسين العلاقات بينهما. وعلى الرغم من الاعتراضات والضغوط الأمريكية، تمكنت السعودية وإيران من تحسين علاقاتهما واستغلال النفط لهذا الغرض. كما لاحظ تشوبين وتريب، أفسحت السعودية المجال لإيران في سوق النفط خلال 1993 عن طريق خفض إنتاجها النفطي بنحو 2 مليون برميل يوميًا.[11] بالإضافة إلى ذلك، ووسط ضغوط الولايات المتحدة، توصل الطرفان إلى اتفاقية لخفض إنتاجهم النفطي بهدف رفع أسعار النفط العالمية في مؤتمر أوبك في مارس 1999[12]، وفي الوقت نفسه، ساعد هذا التقارب المتزايد بين كلا النظامين على تعزيز السلام وتوطيد أواصر التعاون المشترك فيما يخص شؤونهما الداخلية وفي كافة أرجاء المنطقة. وخلقت علاقاتهم خلال هذه الفترة مناخاً سلمياً في كلا البلدين من شأنه أن يدمج الجماعات العرقية والدينية المختلفة في دولهم، ولا سيما الجماعات الشيعية في

[10] Claes, D. (2001). The Politics of Oil-Producer Cooperation. Oxford and Colorado: Westview Press. pp. 178-191.
[11] Chubin, S. and Tripp, C. (1996). Iran-Saudi relations. ADELPHI Series, Oxford University Press. pp. 67-69
[12] CP. (1999). OPEC Agrees to Cut Output In Bid to End World Oil Glut. London Free Press, March 24, 1999. pp. D1. https://infoweb-newsbank-com.ezproxy.lancs.ac.uk/apps/news/documentview?p=AWNB&docref=news/14E4C10735744F98

المنطقة الشرقية[13]، وأن يستقطب المزيد من رأس المال الغربي والاستثمار والتكنولوجيا المتقدمة خاصة بالنسبة لصناعاتهم النفطية المحدودة على الرغم من فرض العقوبات الأمريكية على إيران.[14]

غير أن هذه الأجواء الايجابية لم تدم طويلاً. بدأت تتجه العلاقات السعودية الإيرانية نحو التدهور بعد غزو العراق عام 2003 وخطاب جورج بوش حول "محور الشر". واكتسبت المصالح السياسية والأيديولوجية المتباينة لكلا البلدين أهمية أكبر من مصالحهما الدينية المشتركة بشأن إنتاج النفط وأسعاره. وعليه، تضاءلت أيضًا قدرة أوبك على تخفيف التوترات بين الدولتين. ومع تزايد الضغوط الدولية على إيران وتصاعد التوترات الطائفية في جميع أنحاء المنطقة، بدأت السعودية في استخدام النفط وأوبك كأداة لكبح جماح النفوذ الإيراني المتزايد في جميع أنحاء المنطقة. وفي هذا السياق، اتجهت السعودية إلى عزل إيران داخل الأوبك من خلال معارضة مجموعة من الاقتراحات الإيرانية المتعلقة بإنتاج النفط وسعره واستبدال الدولار بعملات أخرى في تجارة النفط[15] وكذلك من خلال توظيف سياساتها الدولية بشأن النفط والتي تستهدف دفع العملاء الرئيسيين لإيران مثل الصين والهند إلى شراء النفط السعودي.[16]

ومع ذلك، فإن تصاعد التنافس السعودي الإيراني في أوبك ومجال النفط سوف يؤدي إلى مزيد من التداعيات على استقرارهما الداخلي لأن قضايا النفط والمشاكل العرقية والدينية تداخلت مع بعضها البعض في هذه الفترة. فالتوتر قد يحفز الشيعة في المنطقة الشرقية من السعودية والعرب في منطقة خوزستان الإيرانية على المشاركة في عدة احتجاجات، وسيتهم النظامان بعضهما البعض لاستفزاز شعوبهما.[17] ومن بين مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ثمة اعتقاد عام بأن المواطنين الذين يقطنون في تلك الأقاليم لا يستفيدون مطلقاً من عائدات النفط الضخمة بشكل غير عادل، مما حفزهم على الاحتجاج الشعبي

[13] Matthiesen, T. (2015). The Other Saudis: Shiism, Dissent and Sectarianism. Cambridge/New York: Cambridge University Press, pp. 140-196

[14] Sen, G. (2013). Post-revolutionary Iran's foreign policy toward the United states: a historical sociological analysis of state transformation and foreign policy. PhD, Middle East Technical University, pp. 233.

[15] Haynes and Zoltan, S. (2006). Saudi Arabia rejects OPEC production cut despite Iran call. Agence FrancePresse, January 29, 2006.; Dombey, D. (2006). Iran's plan for oil cuts is snubbed by OPEC. Financial Times, January 31, 2006.

[16] Eyal, Jonathan. (2006). Saudi King starts tour of four Asian countries. The Straits Times, January 23, 2006.; Meyer, G. (2010). Saudi oil flows east as Asian demand rises. Financial Times, February 21, 2010. https://www.ft.com/content/a5274b62-1f17-11df-9584-00144feab49a (accessed on March 4, 2020).

[17] Mabon, Simon. (2013). Saudi Arabia and Iran: Soft Power Rivalry in the Middle East. London and New York: I. B. Tauris. pp. 131-166

ضد هذه الأنظمة. ففي مقابلة مع شخصيات شيعية بارزة في المنطقة الشرقية في المملكة السعودية، ذكرت ميغان ك. ستاك وماتيسين أن الشيعة السعوديين عبروا عن استياءهم وغضبهم من النظام السعودي لأنهم عانوا من الفقر والتخلف رغم احتياطيات النفط الضخمة المستخرج في المنطقة الشرقية التي يقطنها أغلبية شيعية.[18] وعلى الجانب الإيراني، كان العرب في منطقة خوزستان ينتقدون بشدة النظام الإيراني لأنهم يقطنون في واحدة من أقل المناطق نمواً على الرغم من أن حوالي 80 ٪ من النفط الخام الإيراني يستخرج من المنطقة مما دفعهم إلى الاحتجاج في واحدة من أكبر التظاهرات التي شهدتها البلاد منذ 1979 في أبريل 2005.[19]

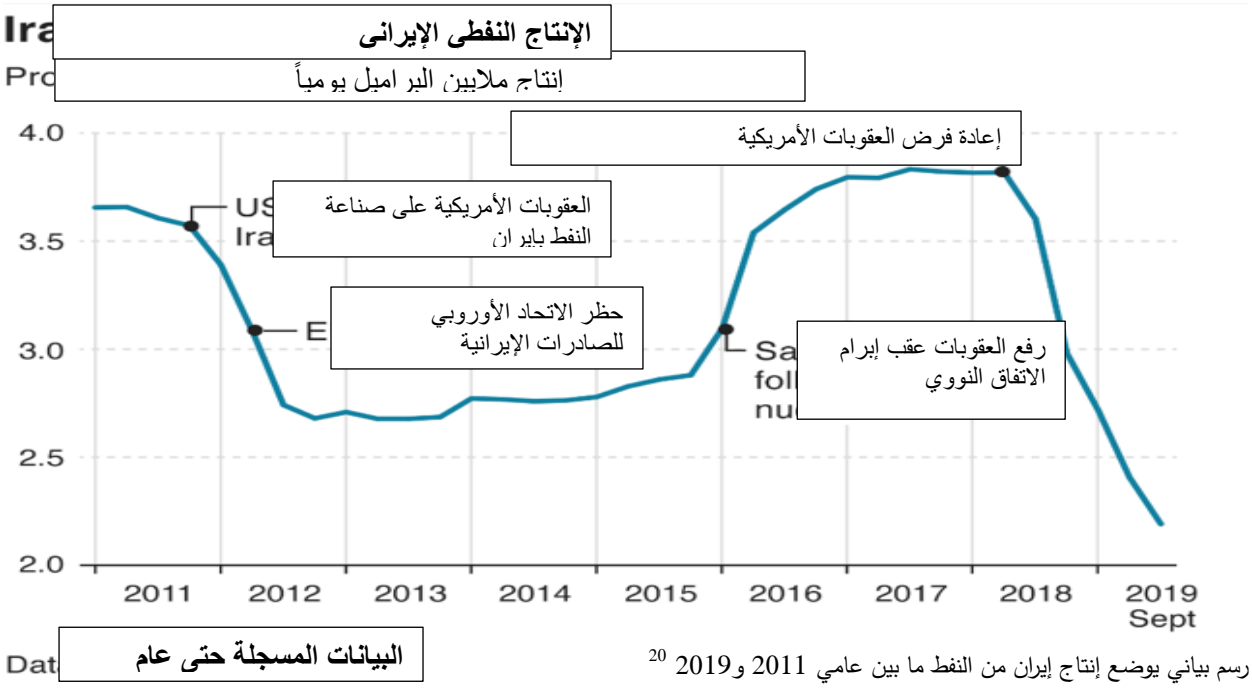

رسم بياني يوضح إنتاج إيران من النفط ما بين عامي 2011 و2019 [20]

[18] Stack, M. (2006). Iraqi Strife Seeping into Saudi Kingdom. Los Angeles Times, April 26, 2006. https://www.latimes.com/archives/la-xpm-2006-apr-26-fg-shiites26-story.html (accessed on March 6, 2020); Matthisien, T. (2013). Sectarian Gulf: Bahrain, Saudi Arabia, and the Arab Spring: That Wasn't. Stanford University Press, pp. 76

[19] Elling, R. C. (2008). State of Mind, State of Order: Reactions to Ethnic Unrest in the Islamic Republic of Iran. Studies in Ethnicity and Nationalism, 8(3), 486; UNPO. (2006). Ahwazi: Parliamentary Think Tank Warns of Ethnic Unrest in Iran. Unrepresented Nations & Peoples Organization, January 5, 2006. https://unpo.org/article/3460 (accessed on January 24, 2020)

[20] BBC News. (2019). Six charts that show how hard US sanctions have hit Iran. BBC News, December 9, 2019. https://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-48119109 (accessed on April 9, 2019).

ومع اندلاع أحداث الربيع العربي في أواخر عام 2010، تراجعت قدرة أوبك على تخفيف توتر العلاقات السعودية الإيرانية بشكل ملحوظ لأن تغير القوى المؤثرة سواء الإقليمية والدولية ضد إيران أعاق جهود المنظمة وقدرتها على لعب دور وسيط في المنافسة السعودية الإيرانية. وفي السياق ذاته، مارست السعودية والولايات المتحدة بعض الخطط الشاملة ضد إيران من خلال فرض العقوبات التي تستهدف النفط الإيراني في السوق العالمية وإبقاء أسعار النفط منخفضة مما يؤدي إلى تفاقم العجز المالي لإيران. وكما هو موضح في الرسم البياني المذكور أعلاه، ألحقت العقوبات الأمريكية في 2012[21] أضرارًا كبيرة بإيران، فانخفض إنتاجها النفطي من حوالي 4.5 مليون برميل في اليوم إلى 3.6 مليون برميل في اليوم كما تراجعت صادراتها من 2.5 مليون برميل في اليوم إلى 1.2 مليون برميل في اليوم بين 2011–2013.[22] وجاء الاتفاق النووي الذي يُطلق عليه خطة العمل الشاملة المشتركة ليساعد إيران على تعافي صناعتها النفطية لفترة من الوقت. لكن سرعان ما سرعان ما عانت الصناعة مرة أخرى جراء فرض عقوبات جديدة من قبل إدارة ترامب. وأدى الاستعاضة عن النفط الإيراني من قِبل السعودية ومنتجي النفط الآخرين إلى تفاقم التوترات العرقية والطائفية. وفي الوقت الذي واجهت فيه السعودية احتجاجات شيعية متزايدة وكذلك سلسلة من الهجمات على منشآتها النفطية في المنطقة الشرقية[23]، كان ينبغي على إيران التعامل بحكمة مع الاضطرابات الداخلية الهائلة بما في ذلك تلك التي شهدتها المناطق التي يعيش فيها عرب الأحواز في خوزستان وذلك بسبب تدهور الوضع الاجتماعي والظروف الاقتصادية الناجمة عن العقوبات وشل قطاع النفط.[24]

وبالنظر إلى هذه النقاط والتطورات، يمكن ملاحظة أن قدرة أوبك على تخفيف حدة التنافس السعودية

[21] MacAskill, E. (2012). Barack Obama's latest sanctions against Iran designed to cut its oil exports. The Guardian, March 30, 2012. https://www.theguardian.com/world/2012/mar/30/iran-sanction-obama-israel-banks (accessed on April 1, 2020)

[22] BP Statistical Review of World Energy 2019, https://www.bp.com/en/global/corporate/energyeconomics/statistical-review-of-world-energy.html (accessed on March 25, 2020)

[23] Wintour, P. and Borger, J. (2019). Saudi offers 'proof' of Iran's role in oil attack and urges US response. The Guardian, Spetember 18, 2019. https://www.theguardian.com/world/2019/sep/18/saudi-oil-attack-rouhanidismisses-us-claims-of-iran-role-as-slander (accessed on March 21, 2020).

[24] Bozorgmehr, N. (2019). Voices from Iran: Protesters describe unrest and crackdown. Financial Times, December 6, 2019. https://www.ft.com/content/e5b7041c-1735-11ea-8d73-6303645ac406 (accessed on April 1, 2020).

الإيرانية محدودة للغاية على الرغم من توافر قدرة مؤسساتية على تهدئة التوترات من خلال فتح آفاق جديدة للحوار بين الجانبين. ونظرًا لظهور القوى المحركة المحلية والدولية المتنافسة التي أفرزتها السياسات النفطية، فإن نظرية "المنطق الاقتصادي" غير كافية لفهم دور النفط وأوبك في تشكيل العلاقات السعودية الإيرانية. فكما حدث خلال التقارب بينهما في حقبة التسعينيات، يمكن لأوبك أن تساهم في تحسين علاقاتهما من خلال استخدام قوتها المؤسسية في حال إذا قرر الطرفان وضع مصالحهم السياسية والاقتصادية والأيديولوجية المتنافسة جانباً واعتبرا النفط قيمة وثروة مشتركة لتنمية الدولتين ونشر الرخاء والاستقرار لشعوبهما.

المصالحة: السعودية وإيران؟

ابراهيم فريحات

ألقى الصراع بين إيران والمملكة العربية السعودية بظلاله القاتمة على معظم الصراعات في الشرق الأوسط، مما جعل السلام والاستقرار في المنطقة حلماً بعيد المنال ما لم تُبذل مساعي وجهود حثيثة لإنهاء هذا الصراع بشكل مناسب. ومع ذلك، تكمن مشكلة هذا الصراع في "هيكله الفوضوي" مما يمثل تحدياً هائلاً لإنهائه على النحو المنشود. إنه صراع فوضوي حيث أن قضاياه غير واضحة ناهيك عن عدم وضوح هوية ومعالم الأطراف التي تخوض الصراع وغياب القواعد التي ينبغي أن تنظم الصراع. وللتغلب على هذا التحدي، يجب تحري الوضوح والشفافية في التعامل مع المسائل ذات الصلة وأوجه الخلاف المشتركة بين الجانبين وإنشاء نظام إدارة ملائم يجعل التسوية ممكنة وهدفًا واقعيًا لتحقيقه.

انقضى نحو أربعين عاماً منذ اندلاع الثورة الإسلامية الإيرانية وما زلنا نتجادل فيما إذا كان الصراع طائفيًا أم أنه مدفوع بعوامل أخرى مثل الأمن أو القومية أو قيادة العالم الإسلامي. ثمة نوع من الغموض والضبابية فيما يخص تحديد الأطراف التي تخوض الصراع وهو ما ينعكس في أسئلة من نوع هل الحوثيون في اليمن يخوضون حربهم الخاصة أو حرب إيران؟ وإلى أي مدى تحشد إيران وكلاء آخرين في العراق وسوريا ولبنان أو أن هذه الصراعات تشتعل بمنأى عن التنافس الإيراني السعودي؟[1] علاوة على ذلك، فشلت إيران والسعودية في وضع قواعد وأنظمة معينة لكيفية السعي نحو تحقيق مصالحهما في خِضم هذا الصراع. على سبيل المثال، هل استهداف المنشآت النفطية التي تمثل عصب الاقتصاد العالمي مثل شركة "أرامكو" النفطية يعتبر مشروعاً أم أن خلق أحد أكثر الأزمات الإنسانية بشاعة وترويعاً من صنع الإنسان في العالم اليوم[2] هو مبرر لتحقيق مصالحهما؟

ما يجعل الأمور أكثر فوضوية في هذا الصراع هو من يتخذ القرار حقًا في إيران. هل هو الرئيس، أم

[1] For more on the relationship between militias and their patron states, how they impact each other, and the case of Hizbollah and Iran see Al-Aloosy, M. (2020). The changing ideology of Hezbollah. Cham, Switzerland: Palgrave Macmillan.

[2] Antonio Guterres, UN Secretary General, Press Conference, November 2018, https://www.un.org/sg/en/content/sg/speeches/2018-11-02/remarks-press-encounter-yemen

الحرس الثوري، أم المرشد الأعلى، ومن يجب أن يتحدث وسطاء الطرف الثالث؟ تجلى ذلك بوضوح في الرسائل المختلطة من إيران إلى المنطقة.[3] وبدلاً من إنشاء قنوات للاتصال بين الجانبين، لجأت السعودية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران خلال 2016. واقترن ذلك الارتباك حول القضايا والأحزاب وعملية صنع القرار بغياب آلية ومنهجية واضحة لفتح قنوات الاتصال والحوار والذي أدى إلى تعقد الصراع بشكل فوضوي للغاية وجعل أي تسوية معقولة ومنطقية لهذا الصراع مجرد أضغاث أحلام.

هذا ليس صراعا طائفيا. لا تُعد الطائفية السبب الرئيسي للصراع بين إيران والسعودية. ومع ذلك، فإن تسييس الطائفية من قبل الطرفين لحشد الدعم لأجنداتهم السياسية صار بمثابة آلية مؤججة للعداء الإيراني السعودي وزيادة حدة الصراع القائم بينهما. وفي هذه الحالة، تعتبر الطائفية عاملاً محفزاً وليس سببًا للصراع. ومع ذلك، فإن التوظيف المكثف والمتنوع للطائفية من قِبل الحكومات ووسائل الإعلام السائدة والشخصيات البارزة على وسائل التواصل الاجتماعي ورجال الدين وحتى المؤسسات البحثية على كلا الجانبين قد حول الطائفية إلى سبب يدفع نحو من تأجيج الصراع.

ما يجعل هذا الصراع معقدًا بشكل خاص هو تعارض الاحتياجات الأمنية وشعور كل من إيران والمملكة العربية السعودية بالمحاصرة. تشعر إيران بالتهديد المستمر من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل، فضلاً عن أنها محاصرة بقواعد عسكرية أمريكية ومناطق نفوذ في العراق والسعودية والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وتركيا وأفغانستان. ترد إيران ، بدورها ، بتوسيع مناطق نفوذها لا سيما من خلال نشر ميليشيات مسلحة في الدول العربية مما يؤدي إلى "محاصرة" أو تطويق السعودية[4] – باعتبارها المنافس الرئيسي لإيران وحليف استراتيجي للولايات المتحدة – في العراق وسوريا ولبنان واليمن. إيران والسعودية عالقتان في هذه المعضلة الأمنية واختارا عن طريق الخطأ استراتيجية التصعيد لحلها.

يعيش النظامان السعودي والإيراني في حالة إنكار لتحديد جذور ومنابع النزاع القائم بينهما بدقة. بينما تدعي السعودية أن الطائفية هي العامل الرئيسي، تروج إيران لأسباب الصراع المتعلقة بالحفاظ على أمنها الوطني والإقليمي. ومع ذلك، فإن ما يرفض الطرفان الاعتراف به هو أن هذا الصراع يتمحور حول بقاء

[3] Molavi, A. 'Iran and the Gulf States', United States Institute of Peace, http://iranprimer.usip.org/resource/iranand-gulf-states.
[4] Fraihat, I. (2020). Iran and Saudi Arabia: taming a chaotic conflict. Edinburgh: Edinburgh University Press.

النظام والشرعية[5] ورغبة حكومتي الدولتين في الاضطلاع بدور قيادي في العالم الإسلامي.

تعد النزاعات التي تُدار وتُنظم بشكل أفضل هي الأكثر قابلية للتسوية العادلة بين الأطراف المتنازعة. يتمثل أحد الجوانب الخطيرة للصراع الإيراني السعودي في افتقاره إلى نظام فعال لإدارة الصراع يحدد بوضوح "قواعد اللعبة" وينظم سلوك الأطراف في النزاع. إن السماح باستمرار النزاع دون آلية تقييدية سيؤدي إلى ضرر أعمق من خلال الاستخدام المستمر للوكلاء في المنطقة، مما قد يؤدي إلى حرب مباشرة بين الرياض وطهران في المستقبل. يجب أن يشتمل نظام إدارة الصراع الفعال على العناصر الأربعة التالية.[6]

أولاً، أدوات إدارة الأزمات حيث تشمل الرد على هذه التوترات من خلال اتخاذ إجراءات مثل إنشاء خط ساخن بين الرياض وطهران وتبادل زيارات حكومية رفيعة المستوى وتشكيل لجان فنية للبحث عن حلول مربحة للجانبين فيما يخص القضايا الأساسية المطروحة.

ثانيا: الحوار. تتسم العلاقات السعودية الإيرانية بافتقاد الثقة المشتركة وغياب الإرادة السياسية في بناء علاقات وكذلك تنامي شعور معلن بالكراهية وحتى العنف كما يظهر عبر وكلاء الدولتين في الإقليم. ولا يمكن تغيير هذه الديناميكية التصعيدية إلا بالحوار. ولا يعني الحوار حل الصراع إنما يعني توظيفه لخلق آلية لإزالة المفاهيم المغلوطة وتحقيق قدرا من التفاهمات المؤكدة وبناء علاقة ثقة وفتح قنوات للتواصل بين الرياض وطهران.

ثالثا: خطوات بناء الثقة. لا تهدف الخطوات إلى حل الصراع وإنما اتخاذ خطوات محدودة تساعد في بناء الثقة وتجهيز إيران والسعودية للدخول في مفاوضات رسمية تهدف لرأب الصدع ومعالجة أسباب وقضايا الصراع. على سبيل المثال، شعر الإيرانيون بالإحباط تجاه السعودية لعدم اعتذار الأخيرة عن وفاة 464 حاج إيراني في حادثة تدافع مِنى في أكتوبر 2015.[7] ولم يكن للاعتذار أن يؤدي إلى توريط السلطات السعودية في الحادث وإنما كان سوف يظهر الدعم والتعاطف في هذه المأساة. وربما كان الاعتذار وسيلة

[5] Wehrey, F. M. (2016). Sectarian politics in the gulf: from the Iraq war to the Arab uprisings. New York: Columbia University Press.
[6] Fraihat, I. (2020). Iran and Saudi Arabia: taming a chaotic conflict. Edinburgh: Edinburgh University Press.
[7] Author participation, as stated by an Iranian participant in a Track II workshop organized by the CIRS, Center for International and Regional Studies, at Georgetown University in Doha, September 2016. Identities withheld under the Chatham House rule.

لعدم التصعيد وبناء أرضية لكي يتعاون الأطراف. ومن نفس المنطلق، شعر السعوديون بالإحباط بسبب امتناع السلطات الإيرانية بالاعتذار الرسمي بعد حادث اقتحام وإحراق السفارة السعودية في طهران.

رابعا: الاحتواء. في حالة احتمال توقف إيران أو السعودية عن محاولات تصدير الصراع إلى الشرق الأوسط، سيصبح حتماً على اللاعبين الإقليميين اتخاذ خطوات وإجراءات استباقية ورفض الاستقطاب الحاد وتحاشي التورط في ساحة المعركة. فحركة عدم انحياز شرق أوسطية فيما يتعلق بالتنافس بين إيران والسعودية سوف يساعد في احتواء الصراع وأيضا في خلق القدرة على التأثير والمصداقية للتدخل بممارسة الضغوط على الأطراف الرئيسية المتنازعة لإنهاء التصعيد.

ورغم ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الأمر يتطلب ما هو أكثر من إدارة الصراع أو فرض قواعد لتسويته. أولا، يجب معالجة حالة عدم التوازن الذي لحق بالنظام الإقليمي في أعقاب غزو العراق في 2003 والتحول الذي طرأ على الوضع الإقليمي والإقتصادي للعراق لاحقاً واستعادته مجددا. وكانت تأمل السعودية في إعادة التوازن من إخلال إزاحة نظام الأسد الموالي لإيران. ونظرا لأن نظام الأسد ظل باقيا في الحكم بل وعزز علاقاته مع طهران، يجب أن ينبثق استعادة التوازن مجدداً من العراق. وهذا لا يعني أن تتحول العراق إلى المعسكر السعودي مرة أخرى. إن استقلال العراق الكامل عن تأثير إيران والسعودية سوف يمثل الخطوة الأولى لاستعادة التوازن الإقليمي. إن بناء نظام تمثيلي يشمل جميع العراقيين ولا يخدم مصالح إيران أو السعودية سوف يخدم مصالح العراق من ناحية ويعيد التوازن الإقليمي من ناحية أخرى. ولطالما أكد الرئيس برهم صالح مراراً الرسالة ذاتها بأن استقلال العراق عن كل طرف هو وسيلة لتحقيق الاستقرار في الخليج.[8] بالإضافة إلى ذلك، تعتبر انتفاضات العراقيين في 2019–2020 والتي قادها الشيعة وشملت الهجوم على أهداف إيرانية في النجف ومناطق عراقية أخرى تشير إلى أن العراقيين أنفسهم باتوا يدركون تماماً الحاجة إلى تحييد بلادهم بمنأى عن هذا الصراع.[9]

تنخرط كل من السعودية وإيران في توجه يؤدي إلى نتائج عكسية فيما يتعلق بالإيفاء باحتياجاتهم الأمنية وإعادة إنتاج نفس المعضلة الامنية التي تجد نفسها فيها. ويجب تعديل هذه الاستراتيجيات. فسبب "تطويق" السعودية ساعدت إيران في دفع الرياض نحو تعاون أقوى مع السعودية وأيضا مع إسرائيل التي تعتبرها

[8] Saleh's speech in the "Mediterranean Dialogue," November 2018. Author's participation.
[9] Massaab Al-Aloosy, author's interview and discussion, Doha, 2019.

إيران مصدر التهديد الرئيسي لأمنها القومي. بل دخلت السعودية فيما يسميه البعض "تطبيعا" مع إسرائيل من أجل إنشاء تحالف ضد إيران. ثانيا، دعم إيران للدكتاتوريات في سوريا ودعمها لجماعات طائفية في اليمن والعراق يؤدي إلى تعزيز الظروف التي أفرزت الإرهاب أو "الراديكالية السنية" التي تعتبرها طهران مصدر آخر لتهديد أمنها القومي. من ناحية أخرى، انتهجت إيران سياسات مغرضة تهدف إلى حماية التمييز الطائفي التي أفرز تنظيم الدولة الإسلامية في العراق وأسفر عن ممارسات القمع والديكتاتورية في سوريا من خلال نظام الأسد القمعي والذي أفرز أيضاً مزيدا من الراديكالية الإسلامية. وعلى الجانب الآخر، زادت السعودية من اعتمادها على أطراف خارجية لتعزيز أمنها وعلى وجه التحديد الولايات المتحدة. وكان من تبعات ذلك أن صارت الاستراتيجية الأمنية السعودية رهينة التغيرات الحادثة في الإدارات الامريكية وأولويات سياستهم الخارجية.

على كل من السعودية وإيران التوقف عن تسييس الطائفية لأن ذلك يدفعهم أكثر نحو مزيد من الصراع بدلا من مساعدتهم في حله. فسياسة التطييف المحتدمة التي تمارسها السعودية من المحتمل أن يؤدي إلى مزيد من التطرف وربما إلى الإرهاب ليس فقط ضد إيران إنما ضد السعودية نفسها. هذا الموقف شبيه بما قامت به السعودية والولايات المتحدة من "أدلجة" لحرب أفغانستان ضد الاتحاد السوفيتي عن طريق تجنيد وتمويل المجاهدين من حول العالم الإسلامي من أجل استمالتهم فكرياً للمشاركة في "الحرب المقدسة" أو ما يسمونه "جهادا" ضد "الشيوعيين الكفرة". وعندما انهار الاتحاد السوفيتي ، كان على الولايات المتحدة والسعودية التعامل مع تنظيم القاعدة والذي تشكل أعضاؤه من المجاهدين السابقين الذين حاربوا الاتحاد السوفيتي في أفغانستان.

تقود سياسة إيران في تسليح الميليشيات الشيعية خاصة في العالم العربي إلى انتشار وتأجيج النعرات الطائفية المدمرة في المنطقة، وهي سياسة يجب أن تتوقف. تتورط إيران في تمويل ميليشيات مسلحة ويشار إليها بأصابع الاتهام في إشعال عدد من الحروب الأهلية في سوريا واليمن والعراق على حساب بناء اقتصاد قوي قادر على الصمود لصالح شعبها الذي يئن تحت وطأة الفقر. وليس من المستغرب أن تندلع المظاهرات المدفوعة بأسباب اقتصادية في نهاية 2017 في إيران. كما أن تأجيج الطائفية في الصراع أدى إلى تدهور العلاقات بين المجتمعات الشيعية والمجتمعات ذات الغالبية السنية حولها. كما أن خلق التوتر

بين الجماعات يؤدي إلى مزيد من التوتر على الحدود الغربية لإيران.[10]

يرى النظامان السعودي والإيراني في الصراع بينهما وسيلة للحصول على شرعية بين مواطنيهما، فالتنافس مع طرف خارجي يخلق وحدة داخلية. فالنظام السعودي يصبح أقوى بمواجهة إيران الشيعية، وإيران الشيعية تحصل على شرعية أكبر عند مواجهة الشيطان الأكبر "الولايات المتحدة". يمثل ذلك وهم لأن الصراع سوف يؤدي في نهاية المطاف إلى إضعاف النظامين والدخول في علاقة من التحدي مع شعوبهما التي تئن من ويلات وتبعات النزاعات السياسية. سيصبح النظام السعودي أقوى إذا واجه الفساد المستشري وإذا حارب الطائفية على أراضيه[11] وإذا قرر توزيع الموارد بناءً على حقوق المواطنة وليس المحسوبية. تحتاج المملكة إلى الدخول في إطار شامل من المصالحة الوطنية مع شعبها مما يؤدي إلى صياغة وتشكيل عقد اجتماعي يرسم بدقة تحديد العلاقة بين المجتمع والدولة.

على الجانب الآخر، تحتاج إيران إلى إعادة تقييم نموذجها القائم على توزيع الموارد وتوجيهها نحو العسكرة ونحو بناء ميليشيا مسلحة على حساب الاستثمار في الاقتصاد والصحة والتعليم. فقد عانى الإيرانيون كثيرا من العقوبات واستنزاف الموارد التي أُنفقت على حروب إقليمية لا طائل منها. تحتاج إيران إلى استبدال شحن الاسلحة إلى الشرق الأوسط، والتي لا تحصل على مقابل مدفوع لها، إلى شحن السجاد الإيراني عالي الجودة بما يفيد المواطن الإيراني والاقتصاد الإيراني. سيكون النظام الإيراني أقوى بمواطن يشعر بالرضا لا الحرمان.

وأخيرا يجب على كل من إيران والسعودية أن تضع في اعتبارها أن عمليات صُنع السلام عبر الحكومات وحدها لا يمكن أن تبني سلاما مستداما وطويل الأمد، فهناك دوما الحاجة إلى انضمام شعوب الدولتين غلى عملية تحويل علاقتهما التنافسية.[12] وكثيرا ما يتم غض الطرف عن عملية السلام التي تبدأ من القاع إلى القمة، أي من الشعوب إلى النُخبة والأنظمة الحاكمة. ونظرا لأن هناك الكثير من المؤشرات غير المشجعة على عدم معرفة الشعوب في كلا البلدين ببعضهما البعض وكذلك غياب قنوات التواصل بين شعبيهما، أعتقد أن إرساء السلام الشامل برُمته بين البلدين لا يزال موضع شك إلى حدٍ كبير. إن التفاعل

[10] Author participation, as stated by a Gulf participant in a Track II workshop organized by Gulf Studies Center at Qatar University in Doha, March 2016. Identities withheld under the Chatham House rule.
[11] Author's interview and discussion with Jamal Khashoggi, Doha, November 2015.
[12] 2 Fraihat, I. (2020). Iran and Saudi Arabia: taming a chaotic conflict. Edinburgh: Edinburgh University Press

والتواصل بين الشعوب يمثل أولوية قصوى في كثير من المجالات ولا سيما التعليم والصحة والإعلام والاقتصاد. تطوير مشاريع اقتصادية مشتركة بين مجموعات من البلدين وكذلك مشاريع تبادل تعليمي يمكن أن تصبح نقطة انطلاق هامة. ويجب أن يزدهر السلام بين إيران والسعودي، ليس بين الحكومات فحسب بل بين شعوب البلدين المحبة للسلام والعيش الآمن. ويجب أن يصبح ذلك الركيزة الأساسية التي يستند إليها أي سلام يتحقق بين الجانبين في المستقبل.

الدبلوماسية وخفض وتيرة التصعيد في منطقة الخليج

كريستيان كوتس أولريشسن

أسفرت الهجمات على الأهداف البحرية والطاقة في الخليج العربي وما حوله إبان عام 2019 وكذلك اغتيال قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإسلامي الإيراني قاسم سليماني من قبل طائرة أمريكية بدون طيار عن تصاعد التوتر في المنطقة التي أصبحت على شفا الحرب في يناير 2020. ومع ذلك ، فإن التوترات المتصاعدة لم تسفر عن صراع جديد في منطقة شهدت أكبر عدد من الحروب والثورات وكذلك عدم الاستقرار القومي والدولي على مدى العقود الأربعة الماضية. أعقب مقتل سليماني إطلاق دعوات من قبل دول الخليج العربي لخفض وتيرة التصعيد في حين استخدم المسؤولون الإيرانيون قناة خلفية للتواصل مع نظرائهم الأمريكيين لإيجاد مخرج لتهدئة الأوضاع وإبعاد كافة الأطراف عن دائرة العنف والتصعيد.

وشكل خفض التصعيد للمواجهة الأمريكية الإيرانية خلال يناير 2020، بدعم من القيادات في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، تحولًا مهمًا وسريعًا إلى حد ما بعيدًا عن سنوات من الخطاب العدائي والمواقف الإقليمية بين الجانبين الإيراني والخليجي. وتتناقض تلك المواقف السعودية الإماراتية لخفض التصعيد مع التصريحات التي أدلى بها ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان في عامي 2017 و 2018. وخلال التصريحات أعلن ولي العهد معارضته إجراء أي حوار مع إيران وأن بلاده على استعداد لاتخاذ كل ما يلزم لمواجهة إيران من بينها امتلاك سلاح نووي إذا لزم الأمر.[1] وفي وقت لاحق من عام 2018 ، استدعت الحكومة الإيرانية القائم بالأعمال الإماراتي في طهران احتجاجا على التغريدات التي كتبها عبد الخالق عبد الله ، أكاديمي إماراتي بارز مقرب من السلطات الحكومية على موقع تويتر والتي تضمنت تبريراً لاستهداف العرض العسكري في إيران الذي أسفر عن مقتل 29 شخصًا على أن "الهجوم العسكري على هدف عسكري ليس عملا إرهابيا".[2]

وأثبت القرار السعودي الإماراتي بالتدخل عسكريًا في اليمن في مارس 2015 مدى تصميم دول الخليج

[1] Sami Aboudi and Omar Fahmy, 'Powerful Saudi Prince Sees No Chance for Dialogue with Iran,' Reuters, May 2, 2017; 'Saudi Crown Prince: If Iran Develops Nuclear Bomb, So Will We,' CBS News, March 15, 2018.
[2] 'Iran Threatens UAE after Tweet by Emirati Writer on Ahwaz Attack,' Al-Arabiya English, September 23, 2018.

العربي على مواجهة مصادر التهديدات المتمثلة في الأنشطة المزعزعة للاستقرار الإقليمي من قبل إيران والجماعات التي اعتبروها "وكلاء" إيرانيين. تزامن هذا التدخل العسكري في نفس يوم بدء المفاوضات بين مندوبين من إيران والدول الأعضاء في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في مدينة لوزان السويسرية والتي تُوجت بتوقيع اتفاق الإطار المبدئي حول برنامج إيران النووي. ويعكس هذا التزامن رفض الجانبان السعودي والإماراتي فكرة أنه يمكن للمجتمع الدولي أن يعقد صفقة مع إيران في جانب واحد فقط من جوانب السياسة) ألا وهو الملف النووي.[3] وتسببت الحرب في اليمن، والتي لم يكن أمام الولايات المتحدة فيها خيار سوى تقديم الدعم اللوجستي لشركائها في الخليج العربي، في زيادة حدة التوترات في الخليج. كما أجج التوتر اندلاع حوادث مثل اقتحام السفارة السعودية في طهران في يناير 2016 بعد إعدام رجل الدين الشيعي السعودي نمر باقر النمر.[4]

وفي غضون عام 2015، كان الافتراض الضمني للقادة السعوديين والإماراتيين هو أن الولايات المتحدة ستدعمهم في اليمن، خاصة وأن التدخل الذي أعلنه السفير السعودي لدى الولايات المتحدة خلال مؤتمر صحفي في العاصمة واشنطن العاصمة تم صياغته بشكل دقيق ليتردد صداه بين الجمهور الأمريكي.[5] لكن بعد أربع سنوات هذا الافتراض بدعم الولايات المتحدة في الشؤون الإقليمية، لا سيما فيما يتعلق بإيران التي شكلت حجر الزاوية في الموقف الدفاعي والأمني لدول الخليج العربي منذ تحرير الكويت في عام 1991، خضع لاختبار قاسي من خلال رد إدارة ترامب على الأحداث التي اندلعت في الخليج خلال 2019.

ففي حين لم يكن ثمة أي رد أمريكي واضح على الهجمات على الشحن البحري قبالة سواحل الفجيرة الإماراتية وخليج عمان خلال شهري مايو ويونيو من عام 2019 أو الهجوم الصاروخي على البنية التحتية النفطية السعودية في سبتمبر من العام ذاته، ردت إدارة ترامب على إسقاط طائرة أمريكية بدون طيار في يونيو ومقتل متعاقد أمريكي في قاعدة عسكرية بالعراق في ديسمبر. وكشف تباين الرود الأمريكية

[3] Kristian Coates Ulrichsen, 'Rebalancing Regional Security in the Persian Gulf,' Center for the Middle East Working Paper, Rice University's Baker Institute for Public Policy, February 2020, p.8.
[4] Ben Hubbard, 'Iranian Protestors Ransack Saudi Embassy after Execution of Shiite Cleric,' New York Times, January 2, 2016.
[5] Dan Roberts and Kareem Shaheen, 'Saudi Arabia Launches Yemen Air Strikes as Alliance Builds against Houthi Rebels,' The Guardian, March 26, 2015.

لشركاء الخليج العربي أن إدارة ترامب تتصرف لحماية مصالح الولايات المتحدة ولكن ليس بالضرورة مصالحهم. ومن ثم ضرب الاختلاف الملحوظ بين مصالح الولايات المتحدة ومصالح دول الخليج العربي صميم المظلة الأمنية الأمريكية في مقتل والقيمة الرادعة المنبثقة منها حسبما يعتقد القادة السعوديون والإماراتيون على وجه الخصوص.

ومن المفارقات أن التصرفات الأمريكية في عام 2019 ، والتي ناقضت تمسك إدارة ترامب بسياسة "الضغط القصوى" تجاه إيران، فتحت المجال أمام مبادرات دبلوماسية إقليمية لخفض التصعيد ضد إيران بدلاً من ذلك . وهو ما انعكس جزئيا على إدراك الرياض وأبو ظبي بأنه قد يتعين عليهما التعامل مع إيران بشروطهما الخاصة وبأن توازن القوى الإقليمي قد يعكس بشكل أكبر القدرات المحلية بدلاً من التحالفات الأمنية الدولية وذلك لأول مرة منذ عقود. وليس من قبيل المصادفة أن الإمارات تواصلت مع إيران في أعقاب الهجمات على ناقلات الشحن في مايو ويونيو 2019 أو أن القنوات الخلفية السعودية عبر أطراف ثالثة إقليمية بدأت في فتح قنوات حوار عقب الهجوم على منشآتها النفطية خلال سبتمبر.

إن المبادرات الدبلوماسية عبر دول الخليج ليست وليدة اللحظة فحسب، فقد أطلقت الكويت مبادرة واعدة في يناير 2017 بعد أسبوع من اعتلاء ترامب منصب الرئاسة. وتنفيذاً لهذه المبادرة، زار وزير الخارجية الكويتي طهران حاملاً رسالة من الأمير صباح الأحمد صباح آنذاك إلى الرئيس الإيراني حسن روحاني وفيها سعى إلى وضع قواعد وخطوط عريضة كأساس لإجراء حوار بين إيران والدول الأعضاء بمجلس التعاون الخليجي.[6] ورد وزير الخارجية الإيراني ، جواد ظريف ، بشكل إيجابي على الرسالة الكويتية ، قائلا "يجب أن نسعى معًا نحو مستقبل يبدو مختلفًا".[7] ثم سافر الرئيس روحاني إلى مدينة الكويت ومسقط في منتصف فبراير 2017 لمناقشة المبادرة مع الأمير الكويتي وسلطان عمان قابوس بن سعيد[8]. ومع ذلك، لم تدم المبادرة طويلا لأن السعودية والإمارات لم تشاركا في مساعي التقارب كما احتلت أحداث أخرى صدارة الاهتمام الاقليمي منها القرار السعودي والإماراتي والبحريني بعزل ومقاطعة قطر في يونيو 2017.

[6] The GCC consists of Bahrain, Kuwait, Oman, Qatar, Saudi Arabia, and the UAE, and was established in 1981, in part a response to the twin regional shocks of the Iranian revolution in 1979 and the Iran-Iraq War in 1980.
[7] Kuwait Offers Strategic Dialogue between GCC and Iran,' Economist Intelligence Unit, February 13, 2017.
[8] Saleh al-Shaibany, 'Rouhani meets Rulers of Oman and Kuwait to Reduce Iran-GCC Tensions,' The National, February 15, 2017.

وشهد النصف الثاني من عام 2019 انفتاحًا دبلوماسيًا ومبادرات لتعزيز الثقة من كلا جانبي الخليج. وبينما كان هناك القليل من التنسيق الواضح ، إن وجد ، إلا أن الانفتاح يعكس على الأقل درجة من التوافق بين الجهات الفاعلة في دول الخليج على ضرورة تغيير النهج المتبع تجاه حل الشؤون الإقليمية. الأهم من ذلك أن هذه المبادرات شملت السعودية والإمارات، الدولتين الأكثر تشددًا في المنطقة حتى الآن والأكثر ارتباطًا بالنهج الإقليمي لإدارة ترامب. فقد سافر وفد من الإمارات العربية المتحدة إلى إيران في أواخر يوليو 2019 لمناقشة قضايا الأمن الملاحي في المنطقة، وذلك بعد فترة وجيزة من إعلان الإمارات عن انسحابها العسكري من اليمن.[9] كما تم إعادة تفعيل اللجنة الإيرانية الإماراتية المشتركة المعنية بالحدود بين البلدين، ودعا وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية أنور قرقاش إلى إجراء حوار لمناقشة قضايا الأمن النووي والإقليمي.[10]

وفي غضون الأسابيع التي أعقبت الهجمات على بنيتها التحتية النفطية في سبتمبر 2019 لجأت القيادة السعودية إلى باكستان والعراق في محاولة لفتح قنوات خلفية للحوار مع إيران لتهدئة الأوضاع ونزع فتيل التوتر. فقد صَرح رئيس الوزراء العراقي آنذاك عادل عبد المهدي في أواخر سبتمبر بأن "هناك استجابة كبيرة من المملكة العربية السعودية ومن إيران وحتى من اليمن، وأعتقد أن هذه المساعي سوف تُكلل بالنجاح".[11] وكشفت التصريحات التي أدلى بها رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني لقناة الجزيرة تأييده لهذه المساعي، قائلاً إن "إيران منفتحة على بدء حوار مع السعودية ودول أخرى في المنطقة".[12] ودعا القادة السعوديون (مع نظرائهم الإماراتيين) إلى وقف التصعيد بعد مقتل سليماني في يناير 2020. كما قام نائب وزير الدفاع الأمير خالد بن سلمان – الأخ الأصغر لولي العهد الأمير محمد بن سلمان – بنقل هذه الرسالة شخصيًا خلال الاجتماعات التي يعقدها في واشنطن ولندن مع مسؤولين أمريكيين وبريطانيين.[13]

من جانبها، كشفت القيادة الإيرانية النقاب خلال شهر سبتمبر 2019 عن مقترح لمبادرة هرمز للسلام من

[9] Liz Sly, 'The UAE's Ambitions Backfire as it Finds Itself on the Front Line of U.S.-Iran Tensions,' Washington Post, August 11, 2019.
[10] Sanam Vakil, 'UAE-Iran Relations: Taking a Turn for the Better?', Castlereagh Associates, November 26, 2019.
[11] Farnaz Fassihi and Ben Hubbard, 'Saudi Arabia and Iran Make Quiet Openings to Head Off War,' New York Times, October 4, 2019.
[12] 'Iran Open to Starting Dialogue with Saudi Arabia: Speaker,' Al Jazeera, October 1, 2019.
[13] Tamara Abueish, 'Saudi Cabinet Emphasizes Kingdom's Call for De-escalation in the Region,' Al Arabiya English, January 7, 2020

قبل الرئيس حسن روحاني أثناء انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة وكذلك وزير الخارجية ظريف خلال اجتماع لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في نيويورك.[14] ووضعت المبادرة عدة مبادئ اتسمت بالموضوعية والتي اعتقدت أنها يمكن أن تشكل أساس لبناء تحالفات ذات مصلحة مشتركة، بما في ذلك احترام السيادة والسلامة الإقليمية والتسوية السلمية للنزاعات والحد من التسليح وأمن سوق الطاقة وحرية الملاحة. حثت المبادرة أيضا على المشاركة الفعالة للأمم المتحدة في دعم منظومة أمنية إقليمية مستحدثة إلى جانب إنشاء ميثاق عدم التدخل وعدم الاعتداء من قبل دول مضيق هرمز واتخاذ إجراءات بناء الثقة وزيادة التواصل والحوار على مستوى المنطقة.[15]

في الماضي كان البحث عن بنية أمنية بديلة في الخليج معقدًا بسبب عوامل مثل عدم التوافق بين الموقف الإيراني بشأن استبعاد القوى "الإقليمية الإضافية" من الترتيبات الأمنية الإقليمية وواقع الشراكات الأمريكية مع دول مجلس التعاون الخليجي. ويظل عدم التوافق قضية جوهرية في الصميم إذ لا تزال القواعد الأمريكية واستعراض القوة موجودة في جميع أنحاء دول الخليج العربي، لكن نهج إدارة ترامب الأحادي والمزعزع للاستقرار قد أحدث شروخا جديدة في تصور التهديدات بين الجهات الفاعلة الإقليمية، وهو التصور الذي بات يمتد من الشركاء إلى الخصوم. فقد صرح "مصدر دبلوماسي خليجي" طالباً عدم ذكر اسمه خلال يناير 2020 بأن "أهم حليف لنا، وهو قوة عالمية موجودة هنا بدعوى استقرار المنطقة، يزعزع استقرار المنطقة ويلحق الضرر بنا جميعا بدون تردد".[16]

في حين أن الإجراءات المذكورة أعلاه لم تتطور بعد إلى مبادرات ذات مغزى أو حتى لم تتحول إلى نتائج جوهرية مثمرة، إلا أنها فتحت على الأقل مساحة للحوار سواء بشكل علني أو من خلال قنوات خلفية أو عبر وسطاء. كما أن إجماع الآراء الأوسع نطاقاً بأن ثمة ما نخسره أكثر مما نكسبه من خلال المواجهة مع إيران قد يؤدي أيضًا إلى استمرار الجهود للبحث عن أرضية مشتركة تستند إلى توازن قوى أكثر واقعية عبر المنطقة. فقد لاحظ رئيس الوزراء العراقي آنذاك عادل عبد المهدي في سبتمبر 2019 عقب لقاء جمعه بالملك سلمان في الرياض أن "لا أحد يمتلك الأسلحة اللازمة لتوجيه ضربة قاتلة لخصمه، ومن ثَمَ،

[14] Mehran Haghirian and Luciano Zaccara, 'Making Sense of HOPE: Can Iran's Hormuz Peace Endeavor Succeed?', Atlantic Council, October 3, 2019.
[15] Kayhan Barzegar, 'Evaluating the Hormuz Peace Endeavor,' Lobe Log, November 6, 2019.
[16] Taylor Luck, 'Iran Crisis: Why Gulf Arabs Increasingly See U.S. As a Liability,' Christian Science Monitor, January 8, 2020.

قد تتعرض المنطقة بكاملها للفوضى والدمار" جراء أية مواجهة محتملة.[17] ورغم أن فترة تولي عبدالمهدي منصبه انتهت إلا أن الأحداث التي اندلعت في مستهل يناير 2020 كشفت عن مدى الحاجة الملحة للتأكيد على تصريحاته ولتسريع إعادة التوازن في وجهات النظر بغية دعم الجهود الدبلوماسية وخفض التصعيد.

[17] 'Iraqi PM Abdul Mahdi Says Riyadh Wants to Avoid War with Iran,' Al Jazeera, September 30, 2019.

السعودية وإيران: كيف يمكن لبلدينا صُنع السلام وتحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط[1]

سميرة ناصرزاده وإياد الرفاعي

لم تشهد العلاقات بين السعودية وإيران مثل هذا المستوى من التدهور من قبل بعد الهجمات على ناقلات النفط في خليج عمان وما تبعها من تبادل الاتهامات بين الطرفين.[2] ومع ذلك يشهد تاريخ العلاقات بين البلدين على أنه كانت هناك تحولات منتظمة بين التوتر والتقارب. ومن ثم يمكن أن نتوقع أن الأمور يمكن أن تتغير للأفضل مرة أخرى.

بصفتينا كإيرانية وسعودي يعملان كزملاء باحثين في دراسات قضايا السلام نعتقد أن الوقت قد حان لأن يسعى كلا البلدين إلى إدارة الصراع وفتح آفاق الحوار والتفاهم المشترك بينهما وبدء جهود إرساء ونشر السلام. ونأمل أن يتحقق هذا المسعى في الغد القريب.

ولكن كيف؟ لا يمكن تحقيق السلام بين عشية وضحاها. إنه يتطلب مجموعة من العوامل لتقوية العلاقات الدبلوماسية وتقليل مستوى العداء بين الدولتين. أولاً ، نقترح أن يقوم السياسيون في كلتا الدولتين بتخفيف حدة اللهجة في خطاباتهم ، وتغيير الخطاب المعادي إلى خطاب أكثر اعتدالاً. ومن شأن ذلك أن يفتح مسارات جديدة نحو إجراء حوار مباشر وإيجابي يخفف من التوترات التي تلقي بظلالها القاتمة على حاضر ومستقبل البلدين والمنطقة وربما العالم.

التهديدات العسكرية

قد يسهم الحوار المباشر بين السعودية وإيران في الدفع نحو إجراء مفاوضات من شأنها تحقيق مزيد من الاستقرار في المنطقة. كان للاضطرابات الإقليمية الحالية تداعيات سلبية على العلاقات بين المملكة العربية

[1] This piece was previously published by The Conversation: https://theconversation.com/saudi-and-iran-howour-two-countries-could-make-peace-and-bring-stability-to-the-middle-east-118696. It is being reproduced here under creative commons license

[2] https://twitter.com/JZarif/status/1139108730996477952

السعودية وإيران حول سوريا والعراق ولبنان والبحرين واليمن.[3] فلا تزال حرب اليمن التي تسببت في أزمة إنسانية مأساوية واحدة من الأسباب الرئيسية للصراع بين السعودية وإيران، لكنها أيضا توفر أيضًا أرضية مشتركة للمحادثات بين الدولتين.

تتفق كل من السعودية وإيران على أنه لا يمكن إنهاء النزاعات في اليمن وسوريا إلا من خلال تبني الحلول السياسية وليس الحلول العسكرية. إذا تمكنت السعودية وإيران من اتخاذ خطوات نحو التوصل إلى تسويات سياسية في سوريا واليمن ، فإن هذا الأمر سينعكس لاحقًا بشكل إيجابي على عملية بناء الثقة بين الجانبين.

بينما تعتمد السعودية على حلفائها الغربيين الاستراتيجيين والإنفاق العسكري المتزايد، فإن إيران التي عزلتها الولايات المتحدة تفضل اتباع نهج إقليمي بشكل أكبر.[4] في الواقع ، ربما يجب على السعودية تجاهل الاعتراضات الأمريكية على إجراء مفاوضات مع إيران.

فالرغبة في تقريب العلاقات لا تزال قائمة. أعلن وزير الخارجية الإيراني، محمد جواد ظريف خلال مارس 2018 قائلا "نؤمن بأن أمن جيراننا يعكس أمننا واستقرارهم يعكس استقرارنا، آمل أن يكون لديهم [السعودية] نفس الشعور وآمل أيضاً أن يبادروا للتحدث معنا لحل هذه المشاكلات".

كما صرح عادل الجبير، وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية، مؤخرًا في مقابلة أن بلاده "لا تريد الحرب مع إيران، لكنها لن تتسامح مع ما تعتبره نشاطًا إيرانيًا معاديًا في الشرق الأوسط".[5]

ومن الواضح أن الشكوك لا تزال قائمة، لكن يمكن اعتبار مثل هذه التصريحات بمثابة توقف مؤقت في الأعمال العدائية وهي نقطة تحول يمكن أن تقرب الطرفين من بعضهما البعض لنزع فتيل التوترات. ثمة أيضًا أسباب داخلية لتقليص التوترات إذ تتبع الدولتان خططًا استراتيجية للمستقبل. فمنذ عام 2015 شرعت السعودية في تنفيذ خطة اجتماعية واقتصادية طموحة لتنويع اقتصاد البلاد من خلال الحد من اعتمادها

[3] Mabon, S. ed. (2018) Saudi Arabia and Iran: The Struggle to Shape the Middle East (London: Foreign Policy Centre)
[4] President Trump Announces the Withdrawal from the Iran Nuclear Deal (C-SPAN, 08.05.2018) at https://www.c-span.org/video/?c4728473/president-trump-announces-withdrawal-iran-nuclear-deal
[5] Adel al-Jubeir: 'Saudi Arabia does not want a war with Iran' (BBC, 30.05.19) https://www.bbc.co.uk/news/av/world-middle-east-48460860/adel-al-jubeir-saudi-arabia-does-not-want-a-warwith-iran

التاريخي على النفط وتحدي القيود والأعراف المجتمعية المحافظة. وفي دولة يبلغ فيها معظم السكان أقل من 30 عاما تمثل رؤية 2030 مشروعا ضخما يقود البلاد إلى التحديث الاقتصادي والاجتماعي.[6] وينطبق الشيء نفسه على إيران حيث تبنت الدولة خطة إستراتيجية واعدة تسمى "الرؤية الوطنية لجمهورية إيران الإسلامية على مدار 20 عامًا" والتي تشمل أهدافا اجتماعية واقتصادية وسياسية.[7] ولكن حتى يتم تنفيذها بنجاح ستحتاج استراتيجيات كلا البلدين إلى مجتمعات مستقرة واقتصادات نابضة بالحياة ولا يمكن تحقيق ذلك في ظل علاقات معادية لدولتين جارتين، فالتكامل والتعاون ضروريان أثناء هذه المرحلة.

الدبلوماسية هي الحل

من الواضح والثابت يقيناً أن السعودية وإيران ستستفيدان من الحوار المباشر أكثر من الخطاب العدائي. فمن خلال المناقشة والعمل معًا بشأن القضايا المحلية والإقليمية والدولية، سوف يصبح من مصلحة الدولتين – والمنطقة بشكل أشمل وأوسع نطاقاً – وضع حد لهذا الصراع وترسيخ قيم التعاون المتشرك من خلال العلاقات الدبلوماسية.

ويعتبر التحول التدريجي من الخطاب العدائي إلى الخطاب التضامني من قبل السياسيين خطوة أولى نحو تحسين العلاقات، ولكن من الضروري أيضًا أن تتخذ السعودية وإيران إجراءات عملية في علاقتهما الثنائية. من المتوقع أن تتنافس الدول في مجال نفوذها لكن البراجماتية يجب أن تسود إذا أراد كلا البلدين إنهاء صراعاتهما في المنطقة.

[6] Vision 2030 (Government of Saudi Arabia) https://vision2030.gov.sa/en
[7] 20 Year National Vision (Iran Data Portal) https://irandataportal.syr.edu/20-year-national-vision

الملاحظات الختامية

كما أوضح المساهمون في هذا الكتاب، تتخذ المنافسة بين السعودية وإيران أوجه عدة وتسير في طرق مختلفة تتعلق بالزمان والمكان. وتحدد هذه المنافسة عدة عوامل تتعلق بالمخاوف الداخلية في كل دولة والفرص الإقليمية والصراع الجيوسياسي والرؤى المتضاربة والسعي للحصول على شرعية تمثيل العالم الإسلامي. ويمثل الاعتراف بمدى سيولة وتعدد أشكال الصراع والطرق والبيئات التي يتطور بها جزءا لا يتجزأ من الحل الذي يشمل تحسين العلاقات بين الرياض وطهران والشرق الأوسط بشكل أوسع.

ومع ذلك لا يمكن لحل التوترات بين السعودية وإيران أن يتم بمعزل عن تحقيق السلام في الشرق الأوسط. فبالنظر في التفاعلات المعقدة بين الأمن الإقليمي والشؤون الداخلية تصبح المنافسة السعودية الإيرانية عنصرا من عناصر الصراع في سوريا والعراق واليمن والبحرين ولبنان. ومن ثم تحقيق هدف السلام الدائم لشعوب المنطقة يتطلب معالجة النزاعات المحلية التي تحركها مجموعة من العوامل والقوى والمظالم المختلفة. ومما لا شكل فيه تضفي المنافسة بين الدولتين معاني أخرى جديدة على أي شكل للصراع والعنف في الإقليم ومن بين هذه المعاني ما يتعلق بتفاقم الخلافات الطائفية.

المساهمة الأخيرة في هذا التقرير تمت كاتبتها من قبل اثنين من طلبة الدكتوراه في جامعة لانكستر البريطانية، أحدهما من السعودية والآخر من إيران. ورغم أن لكليهما أفكار مختلفة حول السياسة والشؤون الإقليمية يمثل اشتراكهما في كتابة ورقة بحثية واحدة، نُشرت على هيئة مقال لموقع "ذا كونفرسيشن" مدى إمكانية التعاون وخلق بارقة أمل لتحقيق مستقبل أفضل.

SEPAD is based at the Richardson Institute:

Richardson Institute
PPR, County South
Lancaster University
Bailrigg
Lancaster
LA1 4YW

Dr. Simon Mabon
Project Director

+44 (0)1524 594253

@ProjectSEPAD

www.sepad.org.uk